جامعة اليرمـــوك
كلية الشريعـــــة
قسم اصول الدين

جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم

إعداد

محمود محمد عواد الهيشه

اشـــــراف

د. محمد أحمد ملكاوي　　أ.د. شاوية التل

١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة اليرموك
كليـــة الشريعة
قسم أصول الدين

جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم

إعداد

محمود محمد عواد الهيشان

بكالوريوس شريعة - الجامعة الأردنية

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الشريعة - جامعة اليرموك، تخصص التربية في الإسلام.

لجنة المناقشة

١- الدكتور محمد أحمد ملكـــــــاوي ..... رئيساً

٢- الأستاذة الدكتورة شادية أحمد التـــل ..... مشرفاً

٣- الدكتور فاروق عبدالمجيد السامرائي ..... عضواً

٤- الدكتور مصطفى إبراهيم المشنـــي ..... عضواً

١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى والدي الذي حمل هم تعليمي ومازال يرقب

بلهفة بالغة أن أتابع تحصيلي العلمي

إلى والدتي الصابـرة ..

إلى العلماء الدعاة، العاملين ميراث النبوة،

معلمي الناس الخير ..

أهدي هذا البحث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

[هو الذي بعث في الأميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وإن كانوا من قبل
لفي ضلال مبين]

سورة الجمعة : آية ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله أولاً وآخراً فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، ثمّ الشكر لجميع أساتذتي الأفاضل على ما بذلوه من جهد وما أسدوه من توجيه ونصح خلال فترة الدراسة في برنامج ماجستير التربية في الإسلام.

وأخصُّ بالشكر كلاً من الدكتور محمد ملكاوي والأستاذة الدكتورة شادية التل على ما بذلاه من جهد وما أبدياه من توجيهات لإخراج هذه الرسالة في صورتها هذه، فجزاهم الله عني كل خير.

كما وأشكر كلاً من الدكتور فاروق السامرائي والدكتور مصطفى المشني على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، سائلاً المولى – عز وجل– أن يوفق للإفادة من نصحهما وعلمهما.

والشكر بعد ذلك لكل من قدّم لي مساعدة أو نصحاً في هذه الدراسة وجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
فهرس المحتويات	أ
ملخص الرسالة بالعربية	د
الفصل التمهيدي : خلفية الدراسة وأهميتها	
- المقدمة	١
- هدف الدراسة وأسئلتها	٣
- أهمية الدراسة	٣
- افتراضات الدراسة	٤
- محددات الدراسة	٤
- تعريف المصطلحات المستخدمة في البحث	٤
- منهجية البحث	٥
- الأدب السابق	٦
- خطة البحث	٨
الفصل الأول : مفهوم العقل والتفكير	٩
المبحث الأول : العقل في اللغة والإصطلاح	١٠
- العقل في اللغة	١٠
- العقل في الإصطلاح	١١
-العقل عند الفلاسفة	١٢
-العقل عند المعتزلة	١٤
-العقل عند علماء الإسلام	١٥
- العقل في القرآن	١٨
المبحث الثاني : التفكير وعلاقته بالعمليات العقلية	٢٩
- التفكير لغة	٢٩
- التفكير عند الفلاسفة	٣٠
- التفكير في علم النفس	٣١
- التفكير في القرآن الكريم	٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ترابط العمليات العقلية ٤٢
- أهداف التفكير ٤٤

الفصل الثاني : وسائل التفكير ٤٩

المبحث الأول : الحواس ٥٠
- أقسام الحواس ٥٠
- أهمية الحواس ٥٤
- وظيفة الحواس ٥٦
- الإحساس والإدراك الحسّي ٥٩
- عوامل الإدراك ٦٢

المبحث الثاني : اللغة ٦٦
- أصل اللغة ٦٦
- اللغة والتفكير ٦٩
- لغة القرآن ٧٣

الفصل الثالث : تنمية التفكير ٨٠

المبحث الأول : تحرير التفكير من العوائق ٨٢
- التقليد ٨٢
- اتباع الهوى ٨٥
- الكبر وغمط الحق ٨٨
- الأوهام والخرافات ٩٠
- اتباع الظن الكاذب ٩٢

المبحث الثاني : قواعد منهجيّة في تنمية التفكير ٩٥
- إثارة الدافع للتفكير ٩٦
- التوجيه المقصود للانتباه ٩٨
- تنمية القدرة على التخيّل ١٠٠
- تنمية المهارات اللغوية ١٠١
- تحسين البيئة النفسية والمادية للفرد ١٠٣
- الإحاطة بجميع المفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث : مناهج البحث وأصولها في القرآن الكريم ١٠٧
- المنهج الاستدلالي ١٠٨
- المنهج الاسترادي (التاريخي) ١١٢
- منهج الملاحظة والتجربة ١١٧
- المنهج الاستقرائي ١٢١

الخاتمة والتوصيات ١٢٨

ثبت الآيات الكريمة ١٣١

ثبت المصادر ١٤٢

ثبت المراجع ١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم

محمود محمد عواد الهيشان

ماجستير التربية في الإسلام - جامعة اليرموك

إشـــــــــــــــراف

الدكتور محمد ملكاوي الأستاذة الدكتورة شادية التل

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم، كما هدفت إلى التعرف على مفهوم العقل والتفكير في القرآن، وعلاقة التفكير بالعمليات العقلية الأخرى.

والسؤال الرئيس الذي سعت الدراسة للإجابة عنه هو : ما هي جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم؟

وقد قسم الباحث دراسته إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى فصل تمهيدي، تناول في الفصل التمهيدي خلفية الدراسة وأهدافها وأهمتها وافتراضاتها، وتعريف المصطلحات ومنهجيّة البحث.

وقد تناول في الفصل الأول مفهوم العقل والتفكير، وبحث فيه مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح ومفهوم العقل في القرآن، كما تناول مفهوم التفكير وعلاقته بالعمليات العقليّة الأخرى.

وتناول في الفصل الثاني وسائل التفكير وبيّن فيه أقسام الحواس ونظرة القرآن إلى الحواس، كما تناول اللغة وعلاقتها بالتفكير وعرض بإيجاز خصائص لغة القرآن ومميزاتها.

وقد خصص الفصل الثالث للحديث عن تنمية التفكير، وقد بيّن الباحث أثر القرآن في تحرير التفكير من العوائق والقيود، واستخلص عدداً من القواعد المنهجيّة في تنمية التفكير، كما بحث في مناهج البحث وأصولها في القرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي التحليلي.

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة ما يلي :

١- ورد العقل في القرآن بصيغة الفعل ولذا فالعقل ليس شيئاً مادياً، وإنما يعرف بوظيفته في التعقل والإدراك والتفكر.

٢- العمليات العقلية التي ذكرت في القرآن عمليات مترابطة متكاملة هادفة.

٣- اهتم القرآن بالحواس ودعا إلى توجيهها توجيهاً مقصوداً للإدراك والفهم ونهى عن تعطيلها.

٤- أشار القرآن إلى قيمة اللغة ودورها في التواصل ونقل المعرفة.

٥- اشتمل القرآن على توجيهات لتنمية التفكير تتمثل فيما يلي :

أ- تحرير التفكير من العوائق

ب- اتباع قواعد منهجيّة لتنمية التفكير منها :

١- إثارة الدافع للتفكير

٢- التوجيه المقصود للإنتباه

٣- تنمية القدرة على التخيّل

٤- تنمية المهارات اللغويّة

٥- تحسين البيئة الماديّة والنفسيّة للفرد

٦- الإحاطة بجميع المفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير.

جـ- وضع أصول المبادىء المنهجيّة في البحث العلمي.

وقد أوصت الدراسة بعدّة توصيات منها :

١- إعادة النظر في أساليب تعلّم وتعليم القرآن الكريم.

٢- الأخذ بالتوجيهات التي تمّ التوصل إليها من أجل تنمية التفكير.

٣- اجراء دراسات حول أثر السنّة في توجيه التفكير وتنميته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل التمهيدي : خلفية الدراسة وأهميتها

مقدمـــة :

الحمدلله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين. وبعد :

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو معجزة نبيه الخالدة، أخرج به هذه الأمة من الضلالة إلى الهدى، ومن الجهالة إلى العلم، وهداها به إلى صراطه المستقيم: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[1]، ينهل منه العلماء، ويأخذ منه الحكماء، فلا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرّد.

وقد تكفّل الله -عز وجل- بحفظه من أن تطاله يد التحريف، ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2]، ولم يتكفّل بحفظ غيره من الكتب المنزلة على رسله، ليكون هذا الكتاب هو المرجع الذي ينبغي أن يفيء إليه الناس جميعاً، يستقون من مورده العذب، ويهتدون بهديه فيما اختلفوا فيه، فإن من قال به صدق، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

لكن كثيراً من المسلمين اليوم قد أعرضوا عن هذا القرآن؛ تلاوة وتدبّراً، وتطبيقاً وعملاً، فما عادوا يسترشدون بهديه، وخاصّة في مجال العلوم الاجتماعية والتربويّة، وباتوا يستقون هذه العلوم من الغرب، وهم في ذلك كحاطب ليل، لايميّزون بين غث سمين، لأنهم لايستندون إلى معايير منهجيّة القرآن فيما يأخذون وما يدعون من هذه العلوم والمعارف.

---

(١) سورة الجمعة : آية ٢.

(٢) سورة الحجر : آية ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد باتت طرائق التربية ومناهج التعليم التي تستند إلى نظريات الغرب وفلسفته الماديّة، هي المسيطرة في العالم الإسلامي، فلم تزده إلاّ جموداً وتخلّفاً، لأنها قطعته عن مصدر هدايته ونهوضه وهو القرآن الكريم.

ومن هنا فإن الحاجة ماسّة للعودة إلى القرآن الكريم، للاهتداء بهديه في صياغة علوم إجتماعية، وتربويّة إسلاميّة، يكون القرآن الكريم محورها ومستندها، بحيث يصبح القرآن عنصراً أساسياً في مناهج التربية والتعليم جميعها، كي يصبح مكوّناً أساسياً من مكوّنات ثقافة المسلم، ومرجعاً له في تصوراته ومفاهيمه في مختلف الميادين والمجالات، لا أن يقتصر في تعليمه على حصة أسبوعيّة، هدفها الأساس هو إتقان التلاوة، دون التفات يذكر إلى معاني القرآن ومفاهيمه .

وإنّه لممّا يلفت النظر في كتاب الله -عز وجل-، كثرة الآيات التي تدعو إلى النظر والتدبّر والتفكر، وهذا يعني أن تلاوة القرآن ينبغي أن تكون تلاوة وعي وتدبر، بخلاف المشركين الذين وصف الله عز وجل نظرهم وسمعهم بأنه نظر غافل وسمع معطل عن الإدراك والفهم والتدبر، ﴿**وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون**﴾[1]، ﴿**ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون**﴾[2].

ويكفي للتدليل على مكانة التفكير في كتاب الله -عز وجل-، أن القرآن نفسه لاتدرك جوانب الإعجاز فيه إلا بالتفكر والتدبر، فهو معجزة عقليّة، وقد تكررت الدعوة لتدبر القرآن الكريم، لإدراك جوانب الإعجاز فيه وإنه من عند الله عز وجل.

وقد جاء القرآن ليوجه العقل والتفكير، ويضع له معالم تهديه وترشده، فأثار التفكير وحفزه على النظر والتدبّر ما لم يحفزه على ذلك كتاب آخر، وهذه دراسةٌ لجوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم، وهي دراسة نفسيّة تربويّة، تناول فيها الباحث مفهوم العقل والتفكير وعلاقته بالعمليات العقليّة الأخرى، وقد استفاد الباحث مما كتبه بعض الباحثين المعاصرين حول تعليم التفكير وتنميته، وحاول التأصيل لهذه المبادىء والتوجيهات من كتاب الله عز وجل وهي محاولة لاتخلو من النقص ولكنها خطوة لابدّ وأن تعقبها خطوات في سبيل صياغة فكر تربوي اسلامي يستند إلى الكتاب والسنّة، وهو مـــا تحتاجه الأمة المسلمة من أجل الخروج من أزمتها التربويّة والتعليميّة، والله وحده هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٩٨.

(٢) سورة الأنفال : آية ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هدف الدراسة وسؤالها :

تهدف هذه الدراسة إلى التعرّف على جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم، كما تهدف إلى التعرف على مفهوم العقل والتفكير في القرآن، وعلاقة التفكير بالعمليات العقلية الأخرى التي ذكرت في القرآن. والسؤال الرئيس الذي سعت هذه الدراسة للإجابة عنه هو : ما هي جوانب الفكر والتفكّر في القرآن الكريم ؟

أهميـــة الدراســـــة :

تنبع أهميّة هذه الدراسة من موضوعها، والذي تعود أهميته إلى عدة أمور منهـا :

١- إن دراسة التفكير في القرآن ذات أهمية كبيرة في إبطال دعاوى المغرضين الذين يزعمون أن سبب جمود المسلمين وتخلفهم هو تمسكهم بكتابهم، وأن القرآن يقيّد العقل ويمنع من الإنطلاق والإبداع.

٢- يعدّ التفكير السليم والتدريب عليه هدفاً من أهداف التربية والتعليم في جميع المراحل التعليميّة، وتسعى جميع المؤسسات التعليميّة إلى تحقيقه، وقد اعتبرت عمليّة التفكير إحدى الركائز الأساسية التي قام عليها التطوير التربوي في الأردن، وتسعى المؤسسات التربوية إلى جعل التفكير محوراً أساسياً في الممارسات التربوية من قبل المعلم والمتعلم على السّواء.

٣- يعتبر التفكير موضوعاً هاماً من موضوعات علم النّفس، إذ يهتم علماء النفس بدراسة التفكير الإنسانيّ وعمليّة الإدراك والتعلّم، وهو من الموضوعات التي شغلت علم النفس قديماً وحديثاً.

٤- يعدّ التفكير موضوعاً رئيساً من موضوعات نظرية المعرفة، إذ إن هذه النظريّة تبحث في مصادر المعرفة وكيفيّة اكتسابها، ودور كل من العقل والحس في الوصول إلى المعرفة، كما تبحث في اللغة كأداة من أدوات المعرفة، وهذه هي من أهم الموضوعات التي يتم بحثها عند الحديث عن التفكير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افتراضـــات الدراســـة :

تفترض هذه الدراسة ما يلي :

١- أن التفكير مهارة يمكن تنميتها، وأن التربية والرعاية المباشرة والتدريب والبيئة كلها عوامل يمكن أن تسهم في تنمية التفكير.

٢- أن القرآن الكريم قد اشتمل على توجيهات ومبادىء تنمّي التفكير وتدفعه نحو الإبداع، وأن دراسة القرآن وتدبره يمكن أن تكشف للباحثين عن كثير من التوجيهات التي يمكن الاستنارة بها من أجل هذه الغاية.

تعريف المصطلحات المستخدمة في البحث :

العقل : قوّة الإدراك والفهم، والتي يستطيع الإنسان بها اكتساب العلوم والمعارف، والتمييز بين الخير والشر، وهو ليس شيئاً ماديّاً، وإنما يعرف بآثاره في حياة الإنسان وسلوكه.

القلب : محلّ القوّة العاقلة في الإنسان، وليس هو العضلة الموجودة في تجويف الصدر.

اللب : هو ما زكى من العقل، أو هو العقل الخالص وما ينتقى منه.

الحجر : هو العقل الذي يمنع صاحبه من إتيان مالا ينبغي.

النهى : جمع نهية وهو العقل الذي ينهى صاحبه عن فعل القبيح.

التفكير : كل نشاط عقلي أدواته الرموز، ويشمل الفهم والتذكر والفقه وغيرها.

التذكر : استحضار ما يحفظه الإنسان من معرفة حسيّة أو معنويّة مجردة.

النظر : تقليب البصر والبصيرة في الأمر لإدراكه أو هو التفكير في الأمر وتدبّره بقصد تحصيل العلم والمعرفة.

التدبر : هو التفكر والنظر فيما تؤول إليه عاقبة الأمور.

التفقه : هو الفهم المبني على حقائق مستقرة يستدلّ بها على غيرها.

الاعتبار : التجاوز من الحال المشاهد المحسوس إلى ما ليس بمشاهد.

الإحساس : استجابة أوليّة للمثيرات الحسيّة الخارجيّة أو الدّاخلية.

الإدراك الحسي : تأويل الإحساسات تأويلاً يفسّر ما يحسّ به الإنسان عن طريق الرّبط بين ما يحسّ به وبين خبراته عن هذا الشيء المحسوس.

* لقد وردت هذه المصطلحات في سياق البحث، وعرفها الباحث في مواضعها الذي وردت فيها ونسبها إلى مصادرها. فيرجع إلى مصادر هذه التعريفات حيث وردت في البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنتباه : توجيه الشعور وتركيز الذهن في شيء ما لملاحظته والتفكر فيه.

التقليد : قبول قول بلا حجّة.

الهوى : الميل إلى الشيء.

الكبر : إعجاب المرء بنفسه وأن يرى نفسه أكبر من غيره.

الوهم : الغلط وهو أن يظن الإنسان شيئاً وهو يريد غيره.

الظن الذموم : كل مالايوثق به، وهو الذي لا أمارة عليه.

المنهج الاستدلالي : أسلوب في البحث يقوم على ترتيب النتائج على مقدّمات معلومة أو هو الانتقال من معلوم إلى مجهول.

المنهج الاسترادي : هو منهج يقوم على استرداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار.

المنهج التجريبي : هو منهج يقوم على الملاحظة المقصودة بشروط وظروف تجعل الظاهرة تحت مراقبة الباحث وسيطرته.

المنهج الاستقرائي : هو منهج يقوم على تتبع جزئيات ظاهرة من الظواهر لاستنتاج حكم كلي ينطبق على جميع جزئيات الظاهرة التي هي موضوع البحث.

منهجيـــــة البحـــــث :

تعدّ هذه الدراسة دراسة استقرائية تحليليّة، إذ قام الباحث باستقراء آيات الكتاب العزيز التي تناولت العقل والتفكير والنظر والتدبر ... ثم حاول التعرف على مدلولات هذه الآيات في موضوع التفكير والمجالات التي تناولتها. وهو استقراء ناقص إذ لاتكاد تخلو أية في كتاب الله عز وجل من دلالة عقلية.

كما استعرض الباحث الآيات التي تحدثت عن السّمع والبصر وعرض موقف القرآن الكريم من الحواس ودورها في التفكير. واستفاد في كل ذلك من دراسات الباحثين الآخرين حول العقل والتفكير ومصادر المعرفة في القرآن الكريم.

كما اطلع الباحث على التفاسير المعتمدة وأفاد منها وخاصة تفسير الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) وتفسير أبي القاسم الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) وتفسير سيد قطب (في ظلال القرآن).

الأدب الســـابـــــق :

لقد كتبت عدّة كتابات وأبحاث ذات علاقة بموضوع هذه الدّراسة، تناولت جانباً أو أكثر من جوانبها، خاصة وأن هذا الموضوع يتناوله الباحثون في ميادين مختلفة من ميادين المعرفة، وفيما يلي عرض لبعض هذه الدراسات ذات الصلة الوثيقة بهذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- في دراسة أعدها الدكتور راجح الكردي (١٩٧٩م) لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلاميّة بعنوان نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة. تناول في أحد فصولها معنى العقل ومفهومه في اللغة وفي اصطلاح فلاسفة المسلمين كما تناول مفهوم العقل وقواه الإدراكيّة بين القرآن والفلسفة وعلاقة العقل بالحواس. كما تناول في فصل آخر من هذه الدراسة الحواس من حيث تكوينها وأقسامها ووظائفها في دراسة مقارنة بين الفلسفة والقرآن. وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة إفادة كبيرة.

- وفي دراسة أعدتها الباحثة هدى ميمني (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية من جامعة أم القرى بعنوان « التربية العقلية في القرآن » هدفت إلى إيضاح طريقة القرآن في تربية الجانب العقلي للإنسان، وقد حاولت الباحثة الإجابة على السؤال التالي : ما هو الأسلوب القرآني في تربية العقل؟ وقد جعلت الباحثة دراستها في ثلاثة أبواب بالإضافة إلى فصل تمهيدي، تناولت في الباب الأول طبيعة الإنسان كما صوّرها القرآن، واشتمل الباب على فصلين، الأول : حول مكانة الإنسان والحكمة من خلقه والثاني : خصائص الإنسان.

أما الباب الثاني : فتحدثت فيه عن العقل الإنساني في القرآن الكريم واشتمل على ثلاثة فصول: بحثت في الفصل الأول معنى العقل في اللغة وفي القرآن وعند علماء المسلمين.

وفي الفصل الثاني تناولت مرادفات العقل ووظائفه. أما في الفصل الثالث فتحدثت عن منهج القرآن في تربية العقل. وقد توصلت الباحثة إلى أن القرآن قد وضع منهجاً لتربية العقل يقوم على عدّة أسس من أهمها تحرير العقل من سائر القيود ، وإثارة الحواس والوجدان والحث على العلم والتزود من العلوم المختلفة.

وفي الباب الثالث : تناولت الباحثة الجانب التطبيقي لمنهج القرآن في تربية العقل واشتمل هذا الباب على فصلين؛ الأول : تناول الطرق الكفيلة بحماية العقل كحمايته من المسكرات ومن الأعداء ومن المبادىء الهدامة، والثانـــي : وقد عرضت فيه لدور المؤسسات التربويّة في تربية العقل.

- وقد بحث الدكتور حسن عبدالعال (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) في كتابه (مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية) في معنى العقل ووظيفته المعرفيّة وعمليات الاستدلال والتذكر والفرق بين الذاكرة والذكرى ومعاني النسيان كما وردت في القرآن. ثم تحدث عن اهتمام الإسلام بتربية العقل، وذلك من خلال عنايته بالحواس وتنمية القدرة على التفكير السليم واكساب الفرد الإتجاهات الفكريّة التي تعينه على استخدام أدوات التفكير المختلفة، واهتمام الإسلام بالملاحظة الموضوعية الدقيقة. ثم بين أهمية الموضوعية في التفكير وذلك بإقصاء الطابع الفردي والتحيّز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعصب واتباع الهوى والجمود على الفكر الموروث والتعليل السحري للظواهر.

- وفي بحث أعدته الدكتورة زينب حسن بعنوان (التنمية العقليّة في القرآن والسنّة) وقد نشر في كتاب (الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادىء، ١٩٨٧م) تناولت مفهوم العقل ومنزلة العقل في القرآن ومنزلته في السنّة. ثمّ بينت أن أهم خطوات تنمية العقل هي تحريره من ربقة التبعيّة والتقليد الأعمى وأن حريّة الاعتقاد وحريّة التدين هي أول الخطوات التي حرص القرآن على أن يربي المسلم عليها وتقرر الباحثة أنه من أجل تنمية الإنسان المسلم عقلياً فلابدّ من تعويده على الإجتهاد واعتماد أسلوب الحوار والجدال في الإقناع لإثراء العقل، ولابدّ من تعويد الإنسان المسلم على النظر العلمي بعيداً عن الخرافة والظن.

- وتعدّ من أهم الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث، ما كتبه الدكتور مالك بدري (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) بعنوان (التفكُّر من المشاهدة إلى الشهود - دراسة نفسيّة إسلامية) وقد هدفت هذه الدراسة إلى توضيح قيمة التفكر العبادية كما ناقشت طبيعة التفكر ومراحله، واقترحت تصوراً إسلامياً لمراحل التفكر، ابتداء من مرحلة الإدراك الحسي وانتهاء بمرحلة المراقبة والبصيرة الثاقبة، كما تناول الباحث أهم أساليب القرآن في الحض على التفكير، والفروق الفردية في درجات التفكر، والعوامل المؤثرة في عمق التفكر أو سطحيته. وختمت هذه الدراسة بمبحث عن التفكر في سنن الكون بين العلم التجريبي والدين وبيّنت تفوق المفكر المسلم على غيره من الباحثين لأن لديه من الحوافز ما ليس عند غيره.

خطـــة البحـــــث :

لقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول، مع فصل تمهيدي وخاتمة، اشتمل الفصل التمهيدي على مقدمة البحث، كما اشتمل على هدف الدراسة وأسئلتها وأهمية الدراسة وافتراضاتها ومحدداتها وتعريف المصطلحات ومنهجية البحث والدراسات السابقة ثم خطة البحث.

أما الفصل الأول فقد خصص للحديث عن معنى العقل والتفكير وجعل في مبحثين :

المبحث الأول : مفهوم العقل في اللغة والإصطلاح.

المبحث الثاني : التفكير والعمليات العقليّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الثاني فقد تناول الباحث فيه أدوات التفكير وقد اشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الحواس

المبحث الثاني : اللغة

أما الفصل الثالث : فقد هدف إلى التعرّف على جوانب تنمية التفكير في القرآن الكريم وجاء تحت عنوان (تنمية التفكير) واشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تحرير العقل من القيود.

المبحث الثاني : قواعد منهجية في تنمية التفكير.

المبحث الثالث : مناهج البحث وأصولها في القرآن الكريم.

ثم عرض الباحث أهم نتائج هذه الدراسة والتوصيات التي خرج بها من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

مفهوم العقل والتفكير

المبحث الأول : العقل في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : التفكير والعمليات العقليّة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

مفهـــوم العقـــل والتفكيـــر

احتل الانسان المرتبة العليا بين المخلوقات، لما امتاز به من طاقات وقدرات زوده الله تعالى بها، وأعظم هذه الامكانات هي العقل والتفكير، وقد تفرد الانسان بالقدرة على التفكير وتحصيل المعرفة من بين هذه المخلوقات.

وقد احتلت الدعوة إلى التعقل والتفكّر مساحةً كبيرة في كتاب الله عز وجل، وذلك يدل على أهميتها في حياة الإنسان، سواءً في مجال الوصول إلى المعرفة الهادية إلى الإيمان بالله تعالى، أو القيام بوظيفة الاستخلاف في الأرض من أجل تأثيرٍ فاعل في الكون والحياة.

٤٨٠٣٦٨

ولما كان هذا البحث بحثاً في التفكير فإن بيان معنى العقل والتفكير في اللغة والاصطلاح، والوقوف على دلالة كل منهما في القرآن الكريم يعتبر مدخلاً أساسياً لهذا البحث، ولذا فإن هذا الفصل اشتمل على مبحثين خصصتهما للبحث في معنى العقل والتفكير في اللغة والاصطلاح ومعناهما في القرآن الكريم وعلاقتهما بالعمليات العقلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

العقل في اللغة والاصطلاح

العقل في اللغة :

دلت كلمة (عقل) في اللغة على معانٍ كثيرة ترجع في معظمها إلى الحبس والمنع والإمساك، قال ابن فارس : «عقلَ : العين والقاف واللام أصلٌ واحد منقاسٌ مطرد يدل عُظمُه على حبسةٍ في الشيء أو ما يقارب الحبسة»[1].

ولذا فقد سمي الحصنُ عقلاً ومعقلاً، قال أحيحة :

وقد أعددتُ للحدثان صعباً لو أن المرء تنفعهُ العقول[2]

ومن ذلك عقلَ الطعامُ بطنه إذا أمسكه. والعقولُ من الدواء ما يمسكُ البطن. وعقله عن حاجته وعقّلهُ واعتقلهُ : حَبَسَهُ. ويقال : اعتقل رمحهُ، إذا وضعه بين ركابه وساقه، واعتقل شاته إذا وضع رجلها بين فخذه وساقه فحلبها، وعقلَ رجلهُ فناها ووضعها على الورك. والعقال ككتاب زكاة عامٍ من الإبل والغنم، ومنه قول أبي بكر -رضي الله عنه-: « لو منعوني عقالاً ... »[3].

ومن الباب العقل وهي الدية، يقال : عقلتُ القتيل أعقله عقلاً، إذا أديت ديته ... والعاقلة : القوم تقسم عليهم الديَة في أموالهم إذا كان قتيل خطأ ... وسميت الديةُ عقلاً لأن الإبل التي كانت تؤخذُ في الديات كانت تجمع فتعقل بفناء المقتول ... وقيل سميت عقلاً لأنها تمسك الدم[4].

وقد سمّي العقل عقلاً لأنّه يحبس صاحبه عن المهالك. قال ابن الأنباري : «رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها، أخذ من قولهم : قد اعتقل لسانه إذا

(١) ابن فارس، أبوالحسين. معجم مقاييس اللغة. جـ٤. ص٦٩. مادة عقلَ.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.وانظر : الجوهري، اسماعيل. الصحاح. جـ٥. ص١٧٦٩. مادة عقلَ.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٧٢. وانظر : الفيروز أبادي. القاموس المحيط. جـ٤، ص ١٨، مادة عقلَ.

(٤) نفس المرجع السابق. ص ٧٠-٧١. وانظر : ابن منظور. لسان العرب. مجلد ١١، ص٤٥٨. مادة عقلَ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حُبس ومنع الكلام، والمعقول ما تعقله بقلبك... والعقل : التثبت في الأمور. والعقل القلب ....»[1].

والعقل ضد الجهل والحمق، قال الخليل : «العقل نقيض الجهل، يقالُ عَقَلَ يعْقِل عقلاً، إذا عرف ما كان يجهله قبلُ، أو انزجر عمّا كان يفعله. وجمعه عقول، رجل عاقل وقوم عقلاء وعاقلون. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل، وما لَهُ معقول : أي عقل»[2]، «ويقولون فلان عقول للحديث، لا يفلتُ الحديث سمعه»[3].

فالعقل في اللغة إذاً يراد به أصلاً الحبسُ والمنع والإمساك، وقد أطلق لفظ العاقل على الرّجل الذي يحبس نفسه عن هواها ويفهم الأمور ويدرك عواقبها، ويميّز بين القبيح والحسن، فيختار الخير ويمنع نفسه عن الشرّ. قال في القاموس المحيط في معنى العقل بأنه : «العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشرّ الشرّين أو مطلق الأمور، أو لقوّة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعانٍ مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه»[4].

العقل في الإصطلاح :

بعد هذا الإيضاح لمعنى العقل في اللغة، لابد من بيان معنى العقل اصطلاحاً، وسيعرض الباحث معنى العقل عند الفلاسفة وعند فلاسفة الإسلام ثم عند المعتزلة وعند علماء المسلمين ثم معنى العقل في القرآن.

العقل عند الفلاسفة :

للفلسفة مذاهب متعدّدة مختلفة، ولذا فقد اختلفت آراء ا لفلاسفة في معنى العقل باختلاف مذاهبهم. ويرى بعض الباحثين[5] أن نظرة الفلاسفة إلى العقل تأثّرت بنظرتهم إلى النّفس باعتبار العقل جزءاً من النفس.

فأنصار المذهب الحسي ينظرون إلى العقل نظرة ماديّة «ويرى هؤلاء الماديّون أن ما نسميه العقل ليس إلا شكلاً من أشكال المادّة الدائمة التغير والتنوع، وليست المادّة كتلة عديمة الحياة لاحراك بها، تأتي إليها الروح وهي منفصلة عنها فتنفخ فيها وتنتج حياة، وإنما القوّة ملازمة للمادّة ومظهر من مظهر المادّة المتنوعة، والحياة

---

(١) ابن منظور. مرجع سابق. مج ١١. ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٢)(٣) ابن فارس. مرجع سابق. جـ٤. ص ٦٩-٧٠.

(٤) الفيروزابادي. مرجع سابق. جـ ٤. ص ١٨.

(٥) الكردي، راجح. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة. ص ٥٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفكر ليستا إلا صفتين غريزيتين للمادّة ونتيجة لامتزاج جزئيات المادّة مزجاً معقداً»[1].

ولذا فإن العقل ليس سوى «الدماغ المادّي» الموجود في داخل جمجمة كل منا، كما أن ما نسمّيه عقلاً مفكراً ما هو إلا «انعكاسات وترجمات للتغيرات الدقيقة في كيمياء الدّماغ ونبضاته العصبيّة الكيموكهربائية، ويستدلون على هذا الرأي بأن تفكير الإنسان، بل شخصيّته كلها - تتغير وتتبدل إذ أصاب دماغه تلف ما»[2].

ويرى أنصار هذا المذهب أن العقل صفحة بيضاء، وأن الإنسان يولد وليس في ذهنه شيء، وتتولّد فيه المعرفة عن طريق التجربة الحسيّة التي تعتمد على الإحساس، أو التجربة الباطنيّة والتأمل العقلي الذي يعتمد على التفكير العقلي، ويربط بين الإحساسات ويكون عنها الأفكار. ومن أنصار هذا المذهب جون لوك الذي يعرّف العقل بأنه : «عنصر أولي بسيط التكوين لا يتجزأ ولا يتحلّل كما هو الشأن في الشيء المادي إلا عند الموت»[3].

أمّا أصحاب المذهب العقلي أو الروحاني فإنهم يرون أن الفكر وإن كان له ارتباط بالمخ ليس ناتجاً عن المخ، وإن كانوا يرون أن المخ آلة لابدّ منها، فلا يمكن أن يكون فكر الإنسان ثمرة لمادة جامدة، لاتحسُّ ولاتشعر، مهما كانت معقدة في تركيبها وحسن نظامها.[4]

وقد وضع أفلاطون أصول هذا المذهب، وقرّر أن «المُثُلَ» لها وجود حقيقي مفارق للمادة، وأن «المثل» هي النماذج التي تحتذيها الظواهر، وأن العقل من عالم المثل[5]. ومن أنصار هذا المذهب ديكارت الذي عرّف العقل بأنه : «قوّة الإصابة في الحكم»[6] .

وعرّفه آخرون من أنصار هذا المذهب بأنه «مجموعة المبادىء القَبْليّة المنظمة للمعرفة، كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببيّة، ومبدأ الغائية، وتتميز هذه المبادىء بضرورتها وكلّيتها واستقلالها عن التجربة»[7].

---

(١) راپوپرت، أ.س. مبادىء الفلسفة. ص ١٤٧-١٤٨.
(٢) بدرى، مالك. التفكر من المشاهدة إلى الشهود. ص ٢٤-٢٥.
(٣) الكردي، راجح. مرجع سابق. ص ٥٤٨.
(٤) راپوپرت، أ.س. مرجع سابق. ص ١٥٥.
(٥) المرجع السابق. ص ١٥٦.
(٦) صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. جـ٢. ص ٨٦.
(٧) المرجع السابق. جـ٢. ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفلاسفة المسلمون فإنهم قالوا بأن العقل جوهر مجرّد إلا أن عباراتهم في تعريفه قد اختلفت؛ فالفارابي يبين ان اسم العقل يقال على أشياء كثيرة :[1]

الأول : الشيء الذي يقولُ به الجمهور في الإنسان إنه عاقل، ويعنون به من كان فاضلاً جيد الروية في استنباط ما ينبغي أن يؤثر من خير أو يجتنب من شر.

الثاني : العقل الذي يردده المتكلمون فإنما يعنون به المشهور في بادي الرأي عند الجميع.

الثالث : العقل الذي يذكره أرسطو طاليس ويعني به قوة النفس التي بها يحصل للإنسان اليقين للمقدمات الكلية الصادقة بالفطرة والطبع.

الرابع : العقل الذي يذكره في المقالة السادسة من كتاب الأخلاق فإنه يريد به جزء النفس الذي يحصل اليقين بقضايا ومقدمات في الأمور الإرادية.

الخامس : العاقل الذ يذكره أرسطو طاليس في كتاب النفس فإنه جعله علي أربعة أنحاء : عقل بالقوة، وعقلٌ بالفعل، وعقلٌ مستفاد، وعقلٌ فعال.

وقد عرّفه بعضهم بأنه : «جوهر مجرّد عن المادّة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كلّ أحد بقوله أنا»[2].

وقيل : «موجود ممكن ليس جسماً ولا حالاً فيه ولا جزءاً منه بل هو جوهر مجرّد في ذاته، مستغن في فعله عن آلات جسمانيّة. وبعبارة أخرى هو جوهر مجرّد غير متعلق بالجسم تعلّق التدبير والتصرّف وإن كان متعلقاً بالجسم على سبيل التأثيـــر»[3].

وقيل : «العقل قوّة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة. والفرق بينـــه وبين الحسّ أن العقل يستطيع أن يجرّد الصورة عن المادّة وعن لواحق المادّة أما الحسّ فإنه لا يستطيع ذلك»[4].

---

(١) بدوي، عبدالرحمن. موسوعة الفلسفة، جـ٢، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) الجرجاني، علي. كتاب التعريفات. ص ١٥٧.

(٣) التهانوي، محمد أعلى. كشاف اصطلاحات الفنون. جـ٤. ص ١٠٢٧.

(٤) صليبا، جميل. مرجع سابق. جـ٢، ص ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعقل بالمعنى السابق قوّة لها عدّة مراتب منها :

أولاً : العقل الهيولاني : «وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات وهي قوّة محضة خالية عن الفعل كما للأطفال»[1].

ثانياً : العقل بالملكة : «وهو علم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريّات»[2].

ثالثاً : العقل بالفعل : «وهو أن يصير النظريات مخزونة عند قوّة العاقلة بتكرار الإكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد»[3].

رابعاً : العقل المستفاد : «وهو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لاتغيب عنـــه»[4].

العقل عند المعتزلة :

عرّف القاضي عبدالجبار العقل بأنّه : "جملة من العلوم مخصوصة، متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف به»[5]، فالعاقل عنده هو من تحققت فيه جملة هذه العلوم والذي تفارق طريقة تصرفه طريقة المجنون، وهو بهذه العلوم قادر على النظر والاستدلال، والتمييز بين النافع والضار بحيث يصير بذلك مكلفاً شرعاً.[6]

وعرّف أبوالهذيل العقل بأنه : «علم الاضطرار الذي يفرق الإنسان به بين نفسه وبين الحمار، وبين السماء وبين الأرض وما أشبه ذلك. وفي قول آخر بأنه : القوّة على اكتساب العلم»[7]

وعند محمد بن عبدالوهاب الجبّائي : العقل هو العلم. وقال : «إن هذه العلوم كثيرة منها اضطرار، وأنه قد يمكن أن يدركه الإنسان قبل تكامل العقل فيه بامتحان الأشياء واختبارها والنظر فيها .... ومن لم يمتحن الأشياء فجائز أن يكمل الله – سبحانه – له العقل ويخلقه فيه ضرورة فيكون بالغاً كامل العقل مأموراً مكلّفاً»[8].

---

(١) الجرجاني، علي. مرجع سابق. ص ١٥٧-١٥٨.

(٢)(٣) المرجع السابق. ص ١٥٧-١٥٨.والإيجي، عبدالرحمن. المواقف في علم الكلام ص ١٤٥.

(٤) صليبا، جميل. مرجع سابق. جـ٢. ص ٨٦.

(٥) زينة، حسني. العقل عند المعتزلة : تصور العقل عند القاضي عبدالجبار. ص ٣١-٣٢.

(٦) المرجع السابق. ص ٣٥.

(٧) الأشعري، أبوالحسن. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. ص ٤٨٠.

(٨) المرجع السابق. ص ٤٨٠-٤٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظاهر من هذه التعريفات أن العقل عند المعتزلة هو العلم الذي يستطيع به الإنسان التمييز والنظر، وهم في تعريفهم للعقل إنماراعوا مبدأ التكليف الشرعي والذي لا يبلغه الإنسان إلا إذا كان عاقلاً.

العقل عند علماء الإسلام :

اختلفت تعريفات علماء الإسلام للعقل، فمنهم من قال بأنه علم ببعض الضروريات، ومنهم من قال بأنّه غريزة، ومنهم من قال بأنّه قوّة بها تكتسب العلوم، وفيما يلي بيان لبعض أقوالهم في معنى العقل.

فقد عرّف الشيخ أبوالحسن الأشعري العقل بأنّه : «العلم ببعض الضروريّات، التي سميناها العقل بالملكة، واحتج عليه بأنه ليس غير العلم، وإلا لجاز انفكاكهما وهو محال، إذ يمتنع عاقل ليس له علم أصلاً، أو عالم لا عقل له. وليس العلم بالنظريات، لأنه مشروط بكمال العقل، فيكون متأخراً عن العقل بمرتبتين فلا يكون نفسه، فهو العلم بالضروريات، وليس علماً بكلّها، فإنّ العاقل قد يفقد بعضها»[1]. ونقل القرطبي هذا القول عن أبي اسحق الاسفراييني.[2]

وقال القاضي أبوبكر : «العقل علوم ضروريّة بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات» قال القرطبي : وهو اختيار أبي المعالي في الإرشاد.[3]

والعقل عند الحارث المحاسبي : «غريزة يولد العبد بها ثمّ يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأسباب الدّالة على المعقول»[4].

ولا يعرف العقل إلا بتأثيره في القلب والجوارح، فمن عرف ما ينفعه مما يضرّه في أمر دنياه عرف أنه عاقل وأنه مفارق لأهل الجنون والحمق الذين سلبوا العقل.[5]

---

(١) الإيجي، عبدالرحمن. مرجع سابق. ص ١٤٦.
(٢) القرطبي، أبوعبدالله. الجامع لأحكام القرآن. مج١. جـ١. ص ٢٥١-٢٥٢.
(٣) المرجع السابق. نفس الجزء والصفحة.
(٤) المحاسبي، الحارث. العقل وفهم القرآن. ص ٢٠٥.
(٥) المرجع السابق. ص ٢٠١-٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعقل عند المحاسبي غريزة لاتعرف بالتعليم ولا تكتسب بالخبرة عن طريق الحواس وإنما يعرف بالعقل فقط ، أي بوعي العاقل أنه كائن يتفكر وينظر ويتدبر ويميز بين النافع والضار.[1]

ويبلغ الإنسان الكمال في العقل عن الله إذا توافرت فيه ثلاث صفات : «الخوف منه، وقوّة اليقين به، وبما قال ووعد وتوعد، وحسن البصر بدين الله، والفقه في الدّين»[2].

ويوافق الإمام الرّازي المحاسبي في أن العقل غريزة فيقول : «والظاهر أنه غريزة يتبعها العلم بالضروريّات عند سلامة الآلات، والنائم لم يزل عقله، وإن لم يكن عالماً»[3].

ويرى الرّاغب الأصفهاني[4] أن العقل يطلق ويراد به معنيان :

الأول : القوّة المتهيئة لقبول العلم، وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فيراد به هذا.

الثاني : العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة، وكل موضع ذمّ الله فيه الكفّار لعدم العقل فإشارة إلى هذا.

ويدلل على هذا الرأي بما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «العقل عقلان : مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع كما لاينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع».

وقد جمع الإمام الغزالي بين هذه المعاني للعقل فقال : «والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان :

الأول : الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعدّ به لقبول العلوم النظريّة وتدبير الصناعات الخفيّة الفكرية، وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل : إن العقل غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظريّة ..

---

(١) المرجع السابق. ص ١٤٨.

(٢) المرجع السابق. ص ٢٢٠.

(٣) الإيجي، عبدالرحمن. مرجع سابق. ص ١٤٦.

(٤) الرّاغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٣٤١-٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ...

الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإنّ من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة ...

الرابع : أن تنتهي قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الدّاعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوّة سمّي صاحبها عاقلاً ...»[1].

وأما الفيروز ابادي فيرى أن العقل : «نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضروريّة والنظريّة وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثمّ لايزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ»[2].

وقد نقل هذا المعنى الحارث المحاسبي عن بعض المتكلمين إذ قالوا : إنه نور وضعه الله طبعاً وغريزة، يبصرُ به ويعبّر به، نور في القلب كالنور في العين، وهو البصر. فالعقل نور في القلب، والبصر نور في العين»[3] .

وقد تابعهم أبوالسعود في ذلك فقال : العقل هو «النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضروريّة والنظريّة»[4].

أما الإمام ابن تيميّة فيقول : «العقل هو الرّوح المجرّدة عن المادة، وهي الجسد وعلائقها، سموه عقلاً ويسمونه مفارقاً، ويسمّون تلك المفارقات للمواد لأنها مفارقة للأجساد، كما أن روح الإنسان إذا فارقت جسدة كانت مفارقة للمادة التي هي الجسد، والنفس هي الروح المدبّرة للجسم، مثل نفس الإنسان إذا كانت في جسمه، فمتى كانت في الجسم كانت محرّكة له. فإذا فارقته صارت عقلاً محضاً، أي يعقل العلوم من غير تحريك بشيء من الأجسام...»[5].

---

(١) الغزالي، أبوحامد. إحياء علوم الدين. جـ١. ص ٨٥-٨٦.

(٢) الفيروزبادي. مرجع سابق. جـ٤. ص ١٨.

(٣) المحاسبي. مرجع سابق. ص ٢٠٤.

(٤) أبوالسعود، محمد. تفسير أبي السعود. مج١. جـ١. ص ٩٧.

(٥) ابن تيميّة، أحمد. نقض المنطق. ص ٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقل في القرآن :

وردت مادّة عقل في القرآن في تسعة وأربعين موضعاً[1] وقد جاءت بصيغة الفعل الماضي أو المضارع، ولم ترد ولا في كلمة واحدة بصيغة المصدر، وجاءت موزعة على خمسة أفعال هي:

١- (عقلوه) وقد وردت مرّة واحدة في قوله تعالى : ﴿**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**﴾[2]

٢- (نعقل) وقد وردت أيضاً مرّة واحدة في قوله تعالى : ﴿**وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾[3]

٣- (يعقلها) وقد جاءت هذه الصيغة مرّة واحدة أيضاً في قوله تعالى : ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾[4]

٤- (يعقلون) وقد وردت هذه الصيغة في اثنين وعشرين موضعاً في القرآن الكريـــم.

٥- (تعقلون) وقد وردت هذه الصيغة في أربع وعشرين موضعاً .

وقد تنوعت أساليب القرآن في دعوته إلى استعمال العقل، فتارة تأتي الدّعوة بصيغة الاستفهام الاستنكاري التوبيخي في قوله تعالى : ﴿**أفلا تعقلون**﴾ وقد تكررت هذه الصيغة أربع عشرة مرّة. وجاء الاستفهام بصيغة ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ مرّة واحدة.

وقد وردت هذه الصيغة تعقيباً على مواقف لاتحتاج إلى كثير نظر وإنما تعلم لكل من له أدنى مسكة من عقل إذا تأمّل وتفكر.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**قال أفتعبدون من دون الله ما لاينفعكم شيئاً ولا يضرّكم أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾[7]، فقد تضجّر نبي الله إبراهيم -عليه السلام- من إصرارهم على عبادة الأصنام مع أن بطلان ألوهيتها أمر ظاهر لكل عاقل.

(١) عبدالباقي، محمد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص ٤٦٨-٤٦٩. مادة عقل.

(٢) سورة البقرة : آية ٧٥.

(٣) سورة الملك : ية ١٠.

(٤) سورة العنكبوت : آية ٤٣.

(٧) سورة الأنبياء : الآيات ٦٦-٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ومن نعمرّه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون**﴾[1]، وذلك أمر ظاهر بمشاهدة أحوال الناس. ومنه قوله تعالى :﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾[2]، قال أبو السعود : والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل[3].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون**﴾[4] فإن المحاجة فيه ونسبته عليه السلام إلى اليهودية أو النصرانية أمر لا يخفى سقوطه وبطلانه إلا على من لاعقل له.

وغير هذه الآيات التي مرّت، كلها تعيب على المشركين تعطيل عقولهم وتوبخهم على جهالتهم مع ظهور البراهين لكل عاقل.

وتأتي الدّعوة إلى استعمال العقل في آيات أخرى بصيغة الترجّي، الحاضّة على استخدام العقل وإعمال الفكر، وقد وردت هذه الصيغة في قوله تعالى : ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ وتكررت هذه الصيغة ثماني مرّات.

وتأتي هذه الصيغة في فواصل الآيات تعقيباً على أحكام وتوجيهات تضمنتها الآيات، مما يوحي بغاية هذا البيان وهدفه، وهو الفهم والتعقل لآيات الله، وما اشتملت عليه من الحكم الفائقة والدلائل الباهرة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عمّاتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم تحية من عندالله مباركة طيّبة كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تعقلون**﴾[5]

---

(١) سورة يس : آية ٦٨.
(٢) سورة البقرة : آية ٤٤.
(٣) أبوالسعود : مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ٩٧.
(٤) سورة آل عمران : آية ٦٥.
(٥) سورة النور : آية ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال أبو السعود : ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدّارين، وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الأولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى[1].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾[2]. يقول أبو السعود : ﴿ولمّا كانت الأمور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة﴾[3].

ومن أساليب القرآن في الدّعوة إلى استعمال العقّل أسلوب التقرير، وقد جاءت هذه الصيغة في قوله تعالى : ﴿**لقوم يعقلون**﴾. وقد تكررت هذه الصيغة ثماني مرّات.

وقد جاءت تعقيباً على آيات كونية، يقتضى إدراك ما فيها من دقّة في الصنع وإبداعٍ في الخلق تأملٌ وتفكرٌ، لا يتصدى له إلا المهرة ممن أداموا النظّر وأطالوا التفكر في آيات الله فاستحقوا أن يكونوا أهلاً لهذا الوصف.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾»[4]. وقوله تعالى : ﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾[5].

وفي آيات أخرى يأتي ذكر العقل على سبيل النفي بقوله سبحانه «لايعقلون» وقد جاء ذلك في معرض الذم للمشركين الذين عطلوا عقولهم، فنفى الله -عز وجل- عنهم صفة العقل، إذ لو كانوا عاقلين لما سلكوا مسلك الكفر والعصيان.

---

(١) أبوالسعود. مرجع سابق. مج ٣. جـ٦. ص ١٩٧.
(٢) سورة الأنعام : آية ١٥١.
(٣) أبوالسعود. مرجع سابق. مج٢. جـ٣. ص ١٩٩.
(٤) سورة النحل : آية ١٢.
(٥) سورة الرّوم : آية ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمدُ الله بل أكثرهم لايعقلون﴾[1].

وقال تعالى : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾»[2] وبتعطيل الكفار لعقولهم فإنهم لا يعودون أهلاً للتكريم الذي خص الله به الإنسان دون سائر المخلوقات، فيرتكس بذلك الكفار إلى منزلة هي أدنى من منزلة الحيوان : ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا﴾[3].

وقد ورد الأمر باستعمال العقل في آيات أخرى بصيغة الشرط : ﴿إن كنتم تعقلون﴾ واستخدام الفعل مسبوقاً بالشرط يدلّ على أن وقوع فعل الشرط يقتضي وقوع جوابه، كما أن انتفاءه يقتضي انتفاء جوابه. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قال ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾[4] ومن الأمور ما يحتاج تفهمها، واستنتاج ما فيها من دلالات، إلى إعمال العقل، وإدامة الفكر، مما لا ينهد له إلا أهل العلم الذين رسخت في هذا الميدان أقدامهم. قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[5] .

ويتبين لنا من هذا العرض أن القرآن الكريم في دعوته إلى استخدام العقل، ينوع في أساليبه، ويكرر الدعوة إلى التعقل، ويفتح الآفاق الرحبة للعقل ليعي ويفكر ويتدبر. بل إن القرآن يعد التقصير في استخدام العقل جريمة يستحق أصحابها العذاب.

فالكفار يوم القيامة يرجعون سبب ما يحل بهم من عذاب إلى تقصيرهم في استخدام عقولهم ، وذكر الله تعالى قولهم فقال تعالى : ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾[6].

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٣.
(٢) سورة الحجرات : آية ٤.
(٣) سورة الفرقان : آية ٤٤.
(٤) سورة الشعراء : آية ٢٨.
(٥) سورة العنكبوت : آية ٤٣.
(٦) سورة الملك : الآيات ١٠-١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ابن عباس : «لو كنا نسمع الهدى أو نعقله، أو لو كنا نسمع سماع من يعي ويفكر، أو نعقل عقل من يميّز وينظر. ودلّ هذا على أن الكافر لم يعط من العقل شيئاً»[1]

ويظهر مما سبق أن أساليب القرآن في الدّعوة إلى استعمال العقل قد تنوّعت «فلا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدّلالة. وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبوله الحجر عليه»[2].

ورغم الدّعوة المتكررة في القرآن الكريم إلى استخدام العقل، إلا أن أناساً في القديم والحديث يذمّون العقل والمعقول، ويرد الإمام الغزالي سبب ذلك إلى «أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات، والإلزامات، وهو صنعة الكلام، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب، فذموا العقل والمعقول وهو المسمّى به عندهم. فأما نور البصيرة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمّه وقد أثنى الله تعالى عليه، وإن ذُمَّ فما الذي بعده يحمد ؟»[3].

ولعلّ ذم العقل جاء استجابة سلبية لما قام به البعض من إعلاء لشأن العقل وتحميله مالا طاقة له به، والتعويل عليه في الإجابة على الأسئلة الكبيرة المتعلقة بالحياة وبالوجود، فلم تكن «الإجابات النابعة من العقل الإنساني وحده، إلا إجابات ناقصة أو مبتورة أو شوهاء...»[4]

وقد جاء القرآن ليوجه العقل ويهديه في مسائل معيّنة من بينها المسائل التالية :

أولاً : العقائد الخاصة بالله تعالى وبرسله وباليوم الآخر وبالغيب على وجه العموم.

ثانياً : مسائل الأخلاق وما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني.

ثالثاً : مسائل التشريع الذي ينظم شؤون المجتمع والإنسان.

---

(١) القرطبي. مرجع سابق. مج٩. جـ ١٨. ص ١٣٩.

(٢) العقاد، عبّاس. التفكير فريضة إسلاميّة. ص٣.

(٣) الغزالي، أبوحامد. مرجع سابق. جـ١. ص ٥٩.

(٤) زرزور، عدنان. دراسات في الفكر الإسلامي. ص ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء القرآن يهدي العقل في هذه المسائل لأن العقل إذا بحث فيها مستقلاً فإنه سيضل وسيشقى.[1]

ومهما ترقى العقل في المعرفة، أو أبدع في ميدان العلوم التجريبيّة - وهذا هو مجاله الحقيقي - فإنّه سيبقى عاجزاً بانفراده عن الوصول إلى تفسير لوجود هذا الكون، وغاية وجود الإنسان، ودوره على هذه الأرض ومصيره الذي سيؤول إليه. ما لم يستند إلى الوحي.

ومن الملحوظات الهامّة التي أشار إليها كثير من الباحثين[2] أن القرآن الكريم لم يذكر العقل بصيغة المصدر وإنما ذكر التعقّل «إشارة إلى وظيفة، وليس إلى شيء قائم بنفسه، مثله مثل وظائف الفهم، والأكل والشرب، والنوم، والقيام والقعود، والركض، والقفز، وأنه تعتريه نفس الأحوال التي تعتري هذه الوظائف من نشاط وعجز»[3]

وقد أخطأ الفلاسفة حين قرروا البحث في ماهية العقل وموضع العقل، «وهذا الخطأ مترتب على تعريفهم للنفس وعلى القول بجوهريّة العقل سواء كان مفارقاً أو متصلاً بالبدن أيما اتصال»[4]

فالقرآن في نظرته للعقل لايجعل العقل «جوهراً بل يجعله عرضاً أو صفة مميزة للإنسان. ذلك أن الإدراك وظيفة الرّوح سواء كان الإدراك عقلياً أو حسيّاً، ولا يمكن حصر الإدراك بصورة دقيقة في جزءٍ معين دون غيره في الإنسان، لأن الإنسان مخلوق من مادّة وروح وتعمل كينونته الإنسانيّة بشكل متكامل ومتناسق وبسرّ لا يعلمه إلا الله -سبحانه-[5].

وقد ذكر القرآن الكريم للعقل وظائف كثيرة، كالتعقل والتدبّر والفهم والتذكر وغيرها -مما سنعرض له في مبحث لاحق- لكنه لم ينسب هذه الوظائف إلى العقل، وإنما نسبها إلى أعضاء أخرى، وذكر القرآن مرادفات للعقل كالقلب والفؤاد واللب والنهى والحجر، وفيما يلي عرض لهذه المسمّيات ودلالاتها في القرآن الكريم بإيجاز :

(١) الشيباني، عمر. فلسفة التربية الإسلامية. ص ١٩٥-١٩٦. نقلاً عن «الإسلام والعقل» للدكتور عبدالحليم محمود.
(٢) الكردي، راجع. مرجع سابق. ص ٥٥١.
(٣) الكيلاني، ماجد. مقومات الشخصية الإسلامية. ص ٥١.
(٤) الكردي. مرجع سابق. ص ٥٥١.
(٥) المرجع السابق. نفس الصفحة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: القلب :

ورد لفظ القلب في القرآن الكريم نحو مائة واثنتين وثلاثين مرّة[1]، وقد ورد مفرداً ومثنى، وجمعاً، ومضافاً للمذكر والمؤنث، ونسب الله -سبحانه- له عدداً كبيراً من الصفات والأعمال كالتعقل والتذكر، والغلظة والإنابة والختم، والاطمئنان، والغفلة، والمرض، والهدى، والفقه، والزيغ، والتقوى، والعمى، والقسوة، والكسب ... وغيرها من المعاني والصفات.

ومن استعراض هذه المعاني يتبيّن أن المقصود بالقلب ليس هو العضلة الموجودة في تجويف الصدر، والتي تعمل على ضخ الدّم إلى جميع أجزاء الجسم والتي تقوم بهذه الوظيفة في الإنسان والحيوان ، وإنما المراد بالقلب «محل القوّة العاقلة من الفؤاد»[2].

وقد نسب القرآن إليها فعل التعقل فقال سبحانه : ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[3]، قال القرطبي -رحمة الله- : أضاف العقل إلى القلب لأنه محلّه كما أن السمع محلّه الأذن، وقد قيل : إن العقل محلّه الدماغ، وروي عن أبي حنيفة، وما أراها عنه صحيحة ...»[4]

وقال رحمه الله : «القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قال الله تعالى : كذلك لنثبت به فؤادك»[5] وقال : ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾[6] يعني في الموضعين قلبك، وقد يعبر به عن العقل، قال الله تعالى : ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾[7] أي عقل، لأن القلب محلّ العقل في قول الأكثرين، والفؤاد محلّ القلب، والصدر محل الفؤاد. والله أعلم»[9].

والآية السابقة تشير إشارة جلية إلى أن الحواس تابعة للقلب، وأن القلب هو المسؤول عن ترجمة وتفسير ما تنقله الحواس، فقد نسب العمى إلى القلب، مع سلامة الحس، فإذا تعطل عمل القلب، لم يعد ما تنقله الحواس ذا معنى أو تأثير. وإلى تعطل

---

(١) عبدالباقي. مرجع سابق. ص ٥٤٩-٥٥١.
(٢) أبوالسعود. مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ٣٧.
(٣) سورة الحج : آية ٤٦.
(٤) القرطبي. مرجع سابق. ٦٤٠. جـ ١٢. ص ٥٢.
(٥) سورة الفرقان : آية ٣٢.
(٦) سورح اشرح : آية ١.
(٧) سورة ق : آية ٣٧.
(٩) القرطبي. مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلب عن الإدراك أشار القرآن في قوله تعالى: ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[1].

وهذا يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من أن عملية التعقل عملية إراديّة كسبيّة يحاسب الإنسان عليها ويسأل عنها، فقد يعطل الإنسان قوّة الإدراك والتأثر عنده بإعراضه عن الهدى وتعاميه عن الحق كما قال تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرٌ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾[3].

والآيات التي ذكرت فعل القلب أشارت إلى عمليات عقلية كالتذكر والفهم كما أشارت إلى عمليات نفسيّة وجدانية: كالحب والكره، والاطمئنان والغفلة .. وقد يكون في هذا ما يؤيد ما ذهب إليه البعض بأن الدماغ لا يمكن أن يكون هو العقل، وأن هناك قوّة تتحكم في هذا الدماغ يسميها هؤلاء العقل، «ويشبه هؤلاء العلماء الدّماغ بجهاز التلفزيون والعقل بمحطة الإرسال، فإذا حدث عطب في التلفزيون، تشوهت الصورة التي ينقلها أو قد تختفي بالمرّة»[4]. وهذه القوّة التي تتحكم في الدماغ في ظني هي القلب.

ثانياً: الفؤاد:

ذكر القرآن الكريم الفؤاد في ستة عشر موضعاً، وقد جاء مفرداً وجمعاً ومضافاً إلى المفرد وإلى الجمع.

والفؤاد في اللغة مأخوذ من فأد، يقال فأدت اللحم شويته، ولحمٌ فئيد مشوي، والفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد.[5]

ويرى البعض أن الفؤاد هو مركز القلب أو هو الجزء المتوقد المؤثر في القلب، فهو «وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر»[6].

---

(١) سورة المطففين: آية ١٤.
(٢) سورة فصلت: آية ٥.
(٣) سورة البقرة: آية ٨٨.
(٤) بدري. مرجع سابق. ص ٢٥.
(٥) الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٣٨٦.
(٦) الألوسي، محمود. روح المعاني. جـ١٤، ص ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جمع القرآن بين الفؤاد وبين السمع والبصر في ثمانية مواضع مما يدلّ على الارتباط الوثيق بين الحواس وبين الفؤاد، ولأن الفؤاد بما فيه «من الحرارة والحركة أو التوقد الذي يجعل هذه الحواس تعمل، فتؤدي مهمتها معه في الإدراك»[1].

والله -سبحانه- قد ذكر السمع والبصر والفؤاد في-معرض التمكين للإنسان في هذه الأرض للقيام بوجب الإستخلاف : ﴿**ولقد مكنّاهم فيما إن مكنّاكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**﴾[2].

وجعل ذلك منّة من الله -سبحانه- لنشكره عليها فقال تعالى ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾[3]. وذلك باستخدام هذه النعم في تحقيق غاية وجودنا الإنساني على هذه الأرض، ولذلك كان السمع والبصر والفؤاد مجالُ السؤال والحساب، قال تعالى : ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾[4].

ثالثاً : اللب

ذكر صاحب معجم مقاييس اللغة أن اللام والباء، أصل صحيح يدلّ على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة ، فيقال على حسب المعنى الأول : ألبّ بالمكان، إذا أقام به، يلب إلباباً. ورجلٌ لبّ بهذا الأمر إذ لازمه. وحكى الفراء : امرأة لبّة، محبّة لزوجها، ومعناه أنها ثابتة على ودّه أبداً. وعلى حسب المعنى الآخر : اللب معروف من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه، ولذلك سمّي العقل لبّاً وهو ما زكى من العقل فكل لب عقل وليس كلّ عقل لبّاً[5].

وقد تكرر ذكره في القرآن ست عشرة مرّة بصيغة ﴿**أولى الألباب**﴾ وقد خصّ الله -عز وجل- أولي الألباب بإدراك الأحكام، والتقوى، والتذكر والاعتبار بقصص الأمم الغابرة، والتفكر في آيات الله، والإقبال على طاعة الله وذكره، ولذا فإن اللبّ من سمات المؤمنين، أو هو عقل الخيرة من النّاس.

رابعاً : النهى

«النون والهاء والياء أصل صحيح يدلّ على غاية وبلوغ، ومنه أنهيت إليه

(١) المرجع السابق. ص ٥٥٣.
(٢) سورة الأحقاف : آية ٢٦.
(٣) سورة النحل. آية ٧٨.
(٤) سورة الإسراء : آية ٣٦.
(٥) انظر : ابن فارس. مرجع سابق. جـ٥. ص ١٩٩-٢٠٠. مادة لبّ. وانظر : الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٤٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : النهى

«النون والهاء والياء أصل صحيح يدلّ على غاية وبلوغ، ومنه أنهيت إليه الخبـر : بلغته إياه، ونهاية كل شيء غايته.

والنُّهيَة : العقل، لأنه ينهى عن قبيح الفعل والجمع نُهى...[1] وقد ورد ذكر النُّهى جمعاً في القرآن الكريم مرّتين بقوله تعالى : ﴿**إن في ذلك لآيات لأولى النُّهى**﴾[2] وفي الآيتين اللتين وردت فيهما هذه الفاصلة القرآنية حضٌّ على الاعتبار بمصير الأمم المكذبة ، وعدم الكفر بالرسل .

خامساً : الحِجْر

وهو في اللغة المنع والإحاطة على الشيء ... ومنه الحجر على السفيه وذلك بمنعه من التصرّف في ماله، وسمّي العقل حِجراً لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي.[3]

وقد وردت كلمة حجر بمعنى العقل في آية واحدة في كتاب الله هي قوله تعالى : ﴿**هل في ذلك قسم لذي حجر**﴾[4] والسؤال في هذه الآية «تقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أموراً جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول»[5] الذين يمنعون أنفسهم من الوقوع في المهالك.

سادساً : الحِلْم

«وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام قال الله تعالى : ﴿**أم تأمرهم أحلامهم بهذا ....**﴾[6] قيل معناه عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسّروه بذلك لكونه من مسبَّبات العقل»[7]، ولذا فإن إطلاق الحلم على العقل هو من قبيل المجاز، وقد وصف الله بذلك بعض أنبيائه فقال : ﴿**إن إبراهيم لحليم أواه منيب**﴾»[8]، وقال تعالى في حق اسماعيل عليه السلام : ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾[9].

---

(١) ابن زكريا. مرجع سابق. جـ٥. ص ٣٥٩.
(٢) سورة طه : آية ٥٤ وآية ١٢٨.
(٣) ابن زكريا. مرجع سابق. جـ٢. ص ١٣٨.
(٤) سورة الفجر : آية ٥.
(٥) أبوالسعود. مرجع سابق. مج٩. جـ٩. ص ١٥٣.
(٦) سورة الطور : آية ٣٢.
(٧) الراغب الزصفهاني. مرجع سابق. ص ١٢٩.
(٨) سورة هود : آية ٧٥.
(٩) سورة الصافات : آية ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر مما سبق أن العقل في القرآن اسم لوظيفة وليس اسماً لشيء مادي محسوس، وهذا ما تدلّ عليه مرادفات العقل، إذ هي في مجملها تدل على وظائف يتصف بها أصحاب العقول السليمة، فاللب هو خلاصة العقل الذي يدفع صاحبه إلى الفهم والتقوى والتفكر ...، والحجر، والنُّهي، والحلم كلها تدل على صفات أصحاب العقول السليمة من ضبط للنفس بالابتعاد عن قبيح الأقوال والأفعال والانتهاء عما لاينبغي للعاقل أن يأتيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

التفكيـــر وعلاقته بالعمليّـــات العقليّـــة

لقد سبقت الإشارة في المبحث السابق إلى أن القرآن الكريم لم يذكر العقل بصيغة المصدر، وإنما ذكر فعل التعقّل، وأمر به أمراً مؤكداً صريحاً، كما أنه أمر بإعمال العقل بأساليب أخرى، منها الدّعوة إلى النظر والتفكر والتدبر ... وغيرها من العمليات العقليّة.

وسيتناول الباحث في هذا المبحث مفهوم التفكير وعلاقته بالعمليّات العقلية الأخرى التي أشار إليها القرآن الكريم.

التفكير لغة :

ذكر صاحب معجم لسان العرب تحت مادّة «فَكَرَ» : الفَكْرُ والفِكْرُ : إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه : «ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر. قال : وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً ....»، وعن الليث : «التفكُّر اسم التفكير ... يقال : ليس لي في هذا الأمر فَكْرٌ أي ليس لي فيه حاجة»[1]

وجاء في مفردات الراغب [2] أن الفكْرة قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ..... ونقل عن بعض الأدباء قولهم : «إن الفكر مقلوب عن الفرك لكنّه يستعمل في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها للوصول إلى حقيقتها».

وعرّف الجرجاني التفكّر بأنّه : «تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب»[3].

ويؤخذ من هذه التعريفات أن التفكير إعمال العقل في الأمر، وتقليبه على وجوهه للوصول إلى حقيقته، وأنه خاص بالإنسان دون الحيوان.

---

(١) ابن منظور. مرجع سابق. مج٥، ص ٦٥. وانظر : الفيروزبادي. مرجع سابق. جـ٢. ص ١١١.

(٢) الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٣٨٤.

(٣) الجرجاني، علي. مرجع سابق. ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفكير عند الفلاسفة :

ذكر صاحب «كشاف اصطلاحات الفنون» أن التفكير يطلق على ثلاثة معان [1].

الأول : حركة النفس في المعقولات بواسطة القوّة المتصرّفة، والمراد بالمعقولات ما ليست محسوسة.

الثاني : حركة النفس في المعقولات مبتدئة من المطلوب المشعورّ بوجه ما مستغرقة فيها طالبة لمباديه المؤدية إليه إلى أن تجدها وترتبها فترجع منها إلى المطلوب.

الثالث : حركة النفس من المطلوب إلى مباديه المؤدية إليه، وقيل إن الفكر والنظر مترادفان.

وذكر في المعجم الفلسفي أن التفكير عند معظم الفلاسفة «عمل عقلي عام يشمل التصوّر والتذكر والتخيل والحكم والتأمل، ويطلق على كل نشاط عقلي »[2].

بينما يرى باحثون آخرون أن الفلسفة الأوروبيّة الحديثة تميز بين العقل والتفكير، فهي ترى أن العقل هو منطقة كل العمليات الذهنيّة بينما يختص التفكير بالعمليات الذهنيّة التي تتناول المفاهيم والعلاقات.[3]

ويحلل بعض الباحثين التفكير فيرى أنه يتألف من ثلاثة أعمال يعملها العقل : إحساس بالشيء أو المعنى ، وتأثر العقل بهذا الشيء أو المعنى ، وإدراكه ، وهذا هو الفهم في أبسط أحواله ، ثم يبتدىء المرؤ يؤلف بين فكرتين ، فإما أن يقرن بعضهما ببعض أو يفرق بينهما ، وبهذا يتكون الحكم على الاشياء . وهذه الاحكام قد يكون بعضها صحيحاً وبعضها الآخر خطأ ، فإذا ما أراد المرء أن تكون هذه الأحكام مقبولة عند الآخرين كما هي مقبولة عنده فإن عليه أن يستكشف عللاً وأسباباً تبيّن وجه الخطأ في الحكم أو صحته ، وذلك بمقارنة هذه الاحكام بعضها ببعض والنظر في العلاقات التي بينها ، ثم البحث فيما يقال ابتداء من الجمل الأولى التي تسمّى «المقدمات» وانتهاءً بما يسمى «بالنتيجة».فعلم التفكير الصحيح هو علم المنطـــق، وهو العلم الذي يبحث في القوانين والشروط الضرورية للوصول إلى حكم صحيح يقبله كل مفكر [4] .

---

(١) التهانوي. مرجع سابق. جـ٥. ص ١١٢٠ وما بعدها.

(٢) صليبا، جميل. مرجع سابق. جـ ١. ص ٣١٧.

(٣) الصديق، يوسف. المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة. ص ٨٦-٨٧.

(٤) راپورت، أ.س. مرجع سابق. ص ٤٤-٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفكير في علم النفس :

اختلفت نظرة علماء النفس إلى التفكير بحسب مدارسهم، فبينما شغلت دراسة تفكير الإنسان ومحتوى شعوره وبناء عقله اهتمام علم النفس التقليدي، فإنّ المدرسة السلوكيّة تمحور اهتمامها حول دراسة التعلّم الذي يمكن دراسته عن طريق المثيرات والاستجابات الظاهرة، واعتبرت المدرسة السلوكية مكوّنات العقل والتفكير من الأمور التي لا يمكن ملاحظتها ودراستها بشكل مباشر.[1]

ويرى بعض الباحثين[2] أن كلمة تفكير بحاجة إلى تحديد في علم النفس، إذ إنها تشير إلى كثيرمن أنماط السلوك المختلفة وإلى أنواع عديدة من المواقف، فهي تستخدم في الحياة اليوميّة بدلاً من التذكر، والتخيّل، والتقبل ... ومن تعريفات علماء النفس للتفكير تعريف همفري للتفكير بأنه «ما يحدث في خبرة الكائن العضوي سواء كان إنساناً أو حيواناً حين يواجه مشكلة أو يتعرف عليها أو يسعى لحلّها» ، ويعرفه بارتلت بأنه : «عملية توسيع الدليل على النحو الذي يلائمه بحيث يتم ملء الفجوات فيه ويتم هذا بالإنتقال بخطوات متتابعة مترابطة يمكن التعبير عنها في حينها أو يتم التعبير عنها فيما بعد».[3]

ومن خلال هذين التعريفين يظهر أن التفكير عند علماء النفس مرتبط بوجود مشكلة أو صعوبة ما، وقد أكدت كثير من التعريفات على أن التفكير لا يحدث إلا بوجود مشكلة، ومن هذه التعريفات :

أ- «التفكير عملية ذهنيّة نفسيّة تهتم بصورة أساسيّة بالسلوك في موقف فيه مشكلة»[4].

ب- «سلسلة مقصودة من المعاني ذات طبيعة رمزيّة، تثار في المجال الذهني، عندما يواجه الإنسان مشكلة معيّنة، أو يريد القيام بعمل ما»[5].

فالتفكير عند هؤلاء الباحثين لا يشمل التذكر أو التخيّل أو التصور، وإن كانوا يقرّون بأن التفكير لا يستغني عن هذه العمليات الذهنيّة الدنيا، لكنه ينطلق منها إلى عمليّات عليا في الاستدلال والإبداع.

---

(١) بدري، مرجع سابق. ص ١٩.

(٢) عثمان، سيد أحمد وأبو حطب، فؤاد. التفكير : دراسات نفسية. ص ١٩٧.

(٣) المرجع السابق. ص ٢٠٠.

(٤) الهاشمي، عبدالحميد. أصول علم النفس العام. ص ٢٢٧.

(٥) زريق، معروف. علم النفس الإسلامي. ص ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما يرى آخرون أن التفكير هو «كل نشاط عقلي أدواته الرموز ...»[1]. وبناء على هذا التعريف فإن التفكير يشمل جميع العمليات العقليّة، كالتصور والتذكر، والتخيّل، والحكم، والفهم، والإستدلال، والتعليل، والتعميم وغيرها.

التفكير في القرآن الكريم :

تكررت مادة (فكر) في القرآن الكريم ثماني عشرة مرّة[2] وجاءت بصيغة الفعل الماضي مرّة واحدة في قوله تعالى : ﴿**إنّه فكر وقدّر، فقتل كيف قدّر**﴾[3].

أما في بقية المواضع فجاءت بصيغة الفعل المضارع : تتفكرون، يتفكرون ... والقرآن ذكر «التفكّر» الذي هو اسم التفكير كما مرّ في المعنى اللغوي، وقلما يفرق الباحثون بينهما، إلا أنّ بعض الباحثن يرى أن التفكر يختلف عن التفكير «في عمقه وفي أنّه يعبر بتصوراته ومفاهيمه من الدنيا إلى الآخرة، ومن المخلوقات إلى خالقها جلّ وعلا. وهذا العبور هو ما يعبّر عنه باصطلاح العبرة والاعتبار. لذلك قد يكون التفكير محصوراً في حلّ المشكلات الدنيويّة وربما يكون بعيداً عن العاطفة والانفعال، لكن التفكر بعبوره برزخ الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة، وخروجه من قمقم المادة إلى انطلاق الرّوح اللانهائي، يحرّك جميع نشاطات المؤمن المعرفيّة الدّاخلية والخارجيّة. فهو يستفيد من الخبرات السابقة، ويربطها بإدراكه الحسّي للمخلوقات التي يتفكر فيها، وبرموزها وتعبيراتها التي اكتسبها من استخدام اللغة، ويضفي عليها من تصوّراته وخيالاته لما كانت عليه في الماضي وما يمكن أن تصير إليه في مستقبل حياتها. ويؤجج كل ذلك بعاطفة جيّاشة وخشية صادقة لله -عز وجل- »[4].

فالتفكر يتضمن التفكير، إلا أن فيه خطوة زائدة على التفكير، إذ التفكير ربما كان محصوراً في عالم الشهادة، لكن التفكر يخطو خطوة أبعد من ذلك للوصول إلى استنتاجات وأحكام، ثمّ إلى سلوك إيماني يفيض بالعاطفة الصادقة، يستجيشها التفكر الخاشع في عظيم قدرة الله تعالى وحكمته : ﴿**ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[5].

---

(١) راجح، أحمد عزّت. أصول علم النفس. ص ٣١٧.

(٢) عبدالباقي، محمد فؤاد. مرجع سابق. ص ٥٢٥.

(٣) سورة المدثر : الآيات ١٨-١٩.

(٤) بدري. مرجع سابق. ص ٣٩-٤٠.

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاءت الدّعوة إلى التفكر في القرآن الكريم صريحة ومقصودة في كثير من آياته ومنها : قوله تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثمّ تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة إن هو إلاّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[1].

قال الزمخشري في معنى هذه الآية : «إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق، وتخلصتم، وهي أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً، (ثم تتفكروا) في أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- وما جاء به، أما الاثنان فيفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين، لايميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبيّة حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادّة الحقّ وسنَنِه، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونَصَفَة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه، وما استقرّ عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم. والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوّش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الرويّة ويخلط القول، ومع ذلك يقلُّ الإنصاف ويكثر الإعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب»[2].

وتتعدد أساليب القرآن في الدّعوة إلى التفكر، فتكون الدّعوة أحياناً من خلال التذكير بنعم الله وآلائه «فيكون التفكر والعبرة من خلال الجو الحاني من صفات الرحمة الودودة»[3]. قال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾»[4] . وقال تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثمّ كلي من كلّ الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾»[5].

وفي أحيان أخرى يأتي الحض على التفكر في معرض بيان الغاية التي من أجلها يضرب الله للناس الأمثال ويقصُّ القصص ويلفت النظر إلى آيات الله المبثوثة في الآفاق وفي أنفسهم .

---

(١) سورة سبأ : آية ٤٦.
(٢) الزمخشري، أبوالقاسم. الكشاف. ج ٣. ص ٢٩٤.
(٣) بدري. مرجع سابق. ص ٦٢.
(٤) سورة الروم : آية ٢١.
(٥) سورة النحل : الآيات ٦٨-٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[1].

وقال تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾[2].

وتارة أخرى يكون الأسلوب القرآني في الدّعوة إلى التفكير «عنيفاً مقروناً في بعض الأحيان بالتهديد والوعيد، وهذه هي الآيات الموجهة لذوي القلوب القاسية الكافرة التي تحتاج لمثل هذا الأسلوب الصارم»[3].

وفي مثل هذه الآيات تأتي الدّعوة إلى التفكر بأسلوب الاستفهام الاستنكاري من مثل قوله تعالى : ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلابالحق وأجل مسمّى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾[4]. وقوله تعالى﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنّة إن هو إلا نذير مبين﴾[5].

والقرآن الكريم يهدف إلى أن يصل الإنسان من خلال تفكره إلى أحكام صائبة، مبنيّة على استدلال صحيح، ومن هنا فهو يعيب على المشركين الذين لم يقدّهم تفكيرهم إلى الصواب، ولم يصلوا إلى أحكام ونتائج منسجمة مع مقدماتها.

يقول تعالى في حق أحد زعماء المشركين الوليد بن المغيرة : ﴿إنه فكر وقدّر فقتل كيف قدّر ثم قتل كيف قدّر. ثم نظر ثمّ عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر إن هذا إلا قولُ البشر﴾[6].

وقد روي في سبب نزول هذه الآيات : أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش : صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلّهم فقال ابن أخيه أبو جهل : أنا أكفيكموه، فقعد عنده حزيناً وكلمه بما أحماه. فقام فأتاهم فقال : تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق، وتقولون : إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط. وتزعمون أنه كذاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك : اللهم لا. ثم قالوا فما هو ؟ ففكر فقال : ما هو إلا ساحر؛

---

(١) سورة الحشر : آية ٢١.
(٢) سورة الأعراف : آية ١٧٦.
(٣) بدري. مرجع سابق. ص ٦٢-٦٣.
(٤) سورة الروم : آية ٨.
(٥) سورة الأعراف : آية ١٨٤.
(٦) سورة المدثر : الآيات ١٨-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يأثُرُه عن أهل بابل، فارتج النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه»[1].

فقد كان ما جاء به الرسول -صلّى الله عليه وسلم- مشكلاً على المشركين، مما استدعى النظر والتفكر فيما جاء به عليه الصلاة والسلام، لكن هذا الكافر قد قاده كفره إلى ما قال بحق القرآن، لا أن الحق قد التبس عليه.

والقرآن الكريم يذكر التفكير «ويعبر عنه بكلمات متعدّدة تشترك في المعنى أحياناً وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق أحياناً أخرى. فهو الفكر والنظر والبصر والتدّبر والاعتبار والذكر والعلم وسائر هذه الملكات الذهنيّة التي تتفق أحياناً في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى»[2].

وسيتناول الباحث فيما يلي هذه العمليات العقلية ومدلولاتها في القرآن الكريم.

أولاً : التذكر

وردت مادّة (ذكر) وما اشتق منها في القرآن الكريم أكثر من مائتين وسبعين مرّة، وجاءت بصيغة الفعل الماضي : ذكر، والمضارع : تَذْكرُ، والأمر : اذْكُرْ، وجاءَت بصيغة الجمع والافراد والتأنيث والتذكير ، كما جاءَت بصيغة اسم المصدر : ذكرٌ، وذكرى، وتذكرة، كما وردت بصيغة اسم الفاعل : الذاكرين والذاكرات، ومذكّر.[3]

والذّكر استحضار ما يحفظه الإنسان من المعرفة، وقد لا يكون عن نسيان، بل عن إدامة حفظ. ويطلق الذكر في مقابل النسيان كما في قوله تعالى : ﴿**إني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾[4]. والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكرقال تعالى : ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾[5]. والتذكرة ما يتذكر به الشيء، وهو أعمّ من الدّلالة والأمارة.[6]

---

(١) أبو السعود. مرجع سابق. جـ٩. ص ٥٧.

(٢) العقاد، عباس. التفكير فريضة إسلامية. ص ٩.

(٣) انظر : عبدالباقي، محمد فؤاد. مرجع سابق. ص ٢٧٠ وما بعدها. مادة ذكر.

(٤) سورة الكهف : آية ٦٣.

(٥) سورة الذاريات : آية ٥٥.

(٦) انظر : الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ١٧٩-١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشار القرآن إلى التذكر كعمليّة عقلية، وسمة من سمات أولي الألباب : قال تعالى : ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحقُّ كمن هو أعمى إنّما يتذكر أولو الألباب﴾[1].

وقد يكون التذكر لمعان فطريّة، يقرُّ بها أصحاب العقول السليمة، كالتفريق بين المتضادين وعدم التسوية بينهما كما في قوله تعالى : ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾[2]. وقوله تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾[3].

وقد يكون التذكير بمعان ومعلومات سابقة يغفل عنها الإنسان لكثرة الإلف والعادة، مما يورث الغفلة والنسيان قال تعالى :﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[4]. وتأتي الدّعوة للتذكر أحياناً، بذكر مصارع الأمم الغابرة لأخذ العبرة والعظة قال تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين﴾»[5]. وقال تعالى ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدّكر﴾.[6]

والتذكير يكون أحياناً أخرى بلفت النظر إلى ما في الكون من إبداع في الصنعة، تدل على قدرة الخالق -سبحانه- ثم توجيه الناس إلى عبادته والالتجاء إليه كما في قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثمّ استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾[7].

«وبعض الباحثين يفرقون بين نوعين من التذكر : تذكر لأشياء لم تثر انفعالاً شديداً عند اكتسابها ويطلق عليها تعبير ذاكرة، وتذكر لأشياء أثارت انفعالات شديدة عند اكتسابها ويطلق عليها تعبير ذكرى»[8].

---

(١) سورة الرعد : آية ١٩.
(٢) سورة هود : آية ٢٤.
(٣) سورة النحل : آية ١٧.
(٤) سورة ق : آية ٣٧.
(٥) سورة الشعراء : آية ٢٠٩.
(٦) سورة القمر : آية ١٥.
(٧) سورة السجدة : آية ٤.
(٨) عبدالعال، حس. مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية. ص ١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم أشار إلى النوعين من التذكر، مثال الأول قوله تعالى : ﴿**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً**﴾[1].

ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿**واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلّكم تشكرون**﴾[2].

ثانياً : النظر

النظر : «تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص ... ويقال : نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه رأيته أو لم تره، ونظرت فيه إذا رأيته وتدبّرته ...»[3].

فالنظر إذاً يطلق على الرؤية البصريّة، كما يطلق على الرؤية القلبيّة، وهو في القرآن يطلق ويراد به في الأغلب النظر القلبي والذي هو التأمل والتفكر. وقد تكرر لفظ «نظر» وما اشتق منه نحو مائة مرّة.[4]، فجاءت الدّعوة إلى النظر بصيغة الأمر : « **انظر**» وأحياناً بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر : « **فلينظر**»، وقد وجه الخطاب للفرد كما وجه للجماعة.

وقد استدل بعض العلماء بهذه الآيات التي تدعو للنظر على وجوب النظر في آيات الله والاعتبار بمخلوقاته، قالوا : ولأن الله -عز وجل- قد ذمّ المعطلين لعقولهم، المعرضين عن النظر في آيات الله ووبخهم على ذلك.[5].

والدّعوة إلى النظر في القرآن لا تقتصر على مجال واحد، بل تتناول مجالات متعددة منها :

- النظر في ملكوت السموات والأرض، وما فيهما من آيات باهرة تدلّ على قدرة الخالق -سبحانه-. مثل قوله تعالى ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾[6].

---

(١) سورة الكهف : آية ٦٣.
(٢) سورة الأنفال : آية ٢٦.
(٣) الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٤٩٧.
(٤) عبدالباقي، محمد فؤاد. مرجع سابق. ص ٧٠٥-٧٠٧.
(٥) القرطبي. مرجع سابق. مج٤. جـ٧. ص ٢١٠.
(٦) سورة الأعراف : آية ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾[1].

- كما أن ما على هذه الأرض من موجودات؛ من نبات وحيوان وجماد كلها ميدان للتأمّل والنظر قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صَبَبْنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[2].

- والنفس الإنسانية كذلك مجال رحب للنظر والتفكر، لقوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾»[3]. وقوله تعالى﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خلق خلق من ماءٍ دافق ...﴾[4].

- كما أن القرآن الكريم يستنكر على المشركين إعراضهم عن النظر في مصارع الأمم الغابرة، ويأمر بالسير في الأرض، سير تأمل وتدبر في مصير تلك الأمم، وما حل بهم بسبب كفرهم وإعراضهم عن دين الله. قال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ...﴾[5].

فالكفار معرضون عن النظر في آيات الله، غير ملتفتين لما في المشاهد من عبرة وعظة، فوصف الله -عز وجل- نظر الكفّار بأنه نظر بصري لايدرك الحكمة فيما يرى ويشاهد، ولا يثير فيهم أية استجابات تجاه ما يرون بأعينهم من مثيرات، وفرق كبير بين من ينظر بعين رأسه، ومن ينظر بعين قلبه لقوله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾[6]، ﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾[7].

- ويدعو القرآن إلى تكرار النظر مرّة بعد أخرى، سواء في المشاهد الكونيّة أو في الدلائل المعنويّة، لأن تكرار النظر يؤدي إلى التثبت من الأمر والوصول إلى الحقيقة التي لايشك المرءُ عندها فيما يرى قال تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا

---

(١) سورة ق: الآيات ٦-٨.
(٢) سورة عبس. الآيات ٢٤-٣٢.
(٣) سورة الذاريات: آية ٢١.
(٤) سورة الطارق: آية ٥.
(٥) سورة يوسف: آية ١٠٩، وسورة غافر: آية ٨٢، وسورة محمد: آية ١٠.
(٦) سورة الأعراف: آية ١٩٨.
(٧) سورة يونس: آية ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسول قد خلت من قبله الرّسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾[1].

فقد تكررت الدّعوة للنظر للتعجيب من موقف النصارى في تأليههم عيسى عليه السلام، مع وضوح حاله -عليه السلام- وجلائه، مما لا يخفى على ذي عقل، وقد «بين الله لهم الآيات بياناً عجيباً وإن إعراضهم عنها أعجب منه»[2].

وقال تعالى : ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾[3]، وإرجاع البصر أبلغ من مجرد النظر، «وإنما أمر بالنظر مرّتين لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرّة لايرى عيبه ما لم ينظر إليه مرّة أخرى، فاخبر تعالى أنه وإن نظر في السماء مرّتين لايرى فيها عيباً بل يتحيّر بالنظر إليها»[4].

- واستعمل القرآن النظر كوسيلة لتحصيل العلم عن دليل وبيّنة.[5] قال تعالى : ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾[6]. فسليمان عليه السلام لم يتعجل في تصديق الهدهد، بل تريث ينظر في صدق الهدهد أو كذبه فيما أخبر به.

ثالثاً : التدبـــــــر

وهو التفكر والنظر فيما تؤول إليه عاقبة الأمر.[7]

وقد ذكر التدبر في القرآن في أربعة مواضع، وكلها وردت في الحض على تدبر القرآن وفهم آياته وما فيه من دلائل على أنه وحي من عند الله تعالى. قال تعالـــى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[8]. «أي ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات»[9]. والإشارة إلى إقفال القلوب دليل على أن التدبر من عمل القلب.

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٥.
(٢) الزمخشري. مرجع سابق. جـ١. ص ٦٣٥.
(٣) سورة الملك : الآيات ٣-٤.
(٤) القرطبي. مرجع سابق. مج٩. جـ٨. ص ١٣٦-١٣٧.
(٥) الكردي، راجع. مرجع سابق. ص ٥٨٧.
(٦) سورة النحل : آية ٢٧.
(٧) الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. ص ١٩٨.
(٨) سورة محمد، آية ٢٤.
(٩) أبو السعود. مرجع سابق. مج٤. جـ٨. ص ٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألبـــاب﴾[1]. وفي هذه الآية ذكر لعمليتين عقليتين هما : التدبّر و التذكر. وهما عمليتان مترابطتان كما يظهر من الآية، فإن تدبر القرآن والوقوف على ما فيه من الأسرار العجيبة، والحكم الجليلة، يقود إلى الاتعاظ بهذا القرآن والاستجابة له والعمل بما فيه، وهذا من سمات أولى الألباب.

وقال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[2]، والتدبر هنا لابد وأن يقود صاحبه إلى حكم ونتيجة، فإنّه «ليس من متكلم يتكلم كلاماً كثيراً إلا وجد في كلامه اختلافاً كثيراً؛ إمّا في الوصف واللفظ، وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب. فأنزل الله -عز وجل- القرآن وأمرهم بتدبره؛ لأنهم لايجدون فيه اختلافاً في وصف ولا رداً له في معنى، ولا تناقضاً ولا كذباً فيما يُخبَرون به من الغيوب وما يُسِرُّون»[3] فيعلمون عندها أنه من عند الله.

وقال تعالى : ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾[4]. وفي هذه الآية إشارة إلى مانع من موانع التدبر، فإنهم أنكروا القرآن وتركوا التدبر في آياته لأنّه جاءهم بما لا عهد لآبائهم به.[5]

رابعاً : التفقه

الفقه : الفهم ، وهو «التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم»[6].

ويرى بعض الباحثين[7] أن التفقه عملية عقلية أعمق وأبعد مدى من التفكير، فهي محصلة التفكير، وهي خطوة عقليّة تجعل الإنسان أكثر وعياً ويقيناً لما يعلم من غاية وجوده وعلاقته بالكون من حوله، ويكون علمه مبنياً على حقائق مستقرة، فهو قادر على المحاورة حول ما يعرض عليه من أسئلة ومشكلات.

---

(١) سورة طه : آية ٢٩.
(٢) سورة النساء : آية ٨٢.
(٣) القرطبي. مرجع سابق. مج٣. جـ٥. ص ١٨٧.
(٤) سورة المؤمنون : آية ٦٨.
(٥) القرطبي. مرجع سابق. مج٦. جـ١٢. ص ٩٣.
(٦) الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٣٨٤.
(٧) خليل، عماد الدين. مدخل إلى موقف القرآن من العلم. ص ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفقه وظيفة من وظائف القلب، قال تعالى : ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾[1]،إلا أن الكفار قد عطلوا قلوبهم عن أداء هذه الوظيفة، فالآيات التي ذكرت الفقه كوظيفة للقلب جاءت معظمها ناعية على الكافرين والمنافقين تعطيلهم لعقولهم عن فقه أوامر الله تعالى والإيمان بها والاستجابة لها ، فقد أخبرنا الله تعالى عن حالهم بقوله : ﴿**وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون**﴾[2]، والسبب ﴿**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾[3]، فكانت النتيجة ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾[4].

وفي الجانب الآخر فإن الله يأمر المؤمنين بأن ينفروا من أجل أن يتفقهوا في الدين في قوله تعالى : ﴿**فلولا نفرَ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون**﴾[5].

خامساً : الاعتبار :

وهو في اللغة من العَبْر ويعني «التجاوز من حال إلى حال». والاعتبار والعِبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد.[6]

وقد ورد الأمر بالاعتبار في قوله تعالى : ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرّعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾[7].

قال القرطبي : «فاعتبروا يا أولي الأبصار» أي اتعظوا يا أصحاب العقول والألباب»[8].

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٧٩.
(٢) سورة التوبة : آية ٨٢.
(٣) سورة المنافقون : آية ٣.
(٤) سورة الأنعام : آية ٢٥.
(٥) سورة التوبة : آية ١٢٢.
(٦) الراغب الأصفهاني. مرجع سابق. ص ٣٢٠.
(٧) سورة الحشر : آية ٢.
(٨) القرطبي. مرجع سابق. مج٩. جـ ١٨. ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك فقد دعا القرآن إلى الاعتبار بقصص الأمم السابقة، ومواقف الأقوام من رسلهم فقال تعالى ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[1].

كما دعا إلى الاعتبار بما خلق الله للناس من أنعام سخرها لهمفقال تعالى : ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**﴾[2].

كما أن الظواهر الكونية مجال للاعتبار والعظة حث الله تعالى عليه بقوله تعالى: ﴿**يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾[3].

ترابط العمليات العقلية :

بعد هذا الاستعراض للعمليات العقليّة يُلاحظ أن القرآن الكريم لم يصنف لنا هذه العمليات ولم يبين لنا درجاتها، كما أنه لم يفصل لنا كيفيّة حدوثها، ولعل مردّ ذلك إلى أن التفصيل العلمي الدقيق لحقائق الكون ليس من مهمة القرآن، فهو كتاب هداية، والتعرف على هذه العمليات متروك للبحث والدراسة.[4]

ولاشك أن البحث في هذه العمليات وكيفية حدوثها ودرجاتها أمر في غاية التعقيد، لأنه «يضعنا في مواجهة أعقد سؤال نفسي طرحه الإنسان على نفسه أو استقاه من مفاهيمه الدينيّة ألا وهو : ما هي الحقيقة بين الجسم والعقل؟ والإجابة على هذا السؤال تختلط فيها الأفكار الفلسفيّة والعقائد الدينيّة مع الدراسات النفسيّة والأبحاث العضويّة والبيولوجيّة للإنسن بشكل عام ودماغه وجهازه العصبي بشكل خاص»[5].

إلا أن ما يمكن استنباطه من خلال استعراض الآيات التي ذكرت هذه العمليات، أنها عمليات مترابطة متكاملة، لا تحدث منفصلة عن بعضها البعض، وذلك لأن «الكينونة الإنسانيّة المدركة ليست انشطارية في وظائفها سواء منها الحسيّة أو النفسيّة كما أنها ليست انشطاريّة في وظائفها العقليّة»[6].

---

(١) سورة يوسف : آية ١١١.
(٢) سورة المؤمنون : آية ٢١.
(٣) سورة النور : آية ٤٤.
(٤) الكيلاني، ماجد. مقوّمات الشخصيّة الإسلاميّة. ص ٥٢.
(٥) بدري. مرجع سابق. ص ٢٣-٢٤.
(٦) الكردي، راجع. مرجع سابق. ص ٥٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر ترابط العمليات العقليّة في القرآن الكريم في كثير من الآيات التي جمعت بين أكثر من عملية عقليّة في مشهد واحد، فقد جمعت بين التفكر والتعقل والتذكر في مشاهد كونية متشابهة : قال تعالى : ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**﴾[1].

كما جُمع في القرآن بين التدبّر والتذكر في آية واحدة، قال تعالى : ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾[2].

كما أن هذا الترابط الوظيفي بين العمليات العقلية يظهر جلياً في آيات القرآن الكريم من خلال المجالات التي دعا فيها القرآن إلى التفكر، والنظر والتدبر ...، فنجد أن الموضوع الواحد جاءت الدّعوة إلى إعمال العقل فيه بألفاظ كثيرة، إمّا بلفظ النظر، وإمّا بلفظ الفقه، وإمّا بلفظ التدبر، وإمّا بلفظ التفكر، وهكذا، فمثلاً قوله تعالى : ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا**﴾[3]. وقوله تعالى : ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[4].

فإن مجال التفكر واحد وهو كتاب الله عز وجل، لكنه عبر عن ذلك بالفقه تارة ، وعبر عنه بالتدبر تارة أخرى ، وهاتان العمليتان من أعمال القلب، وفي الحالتين فإن قلوب الكافرين مقفلة دون فقه الآيات أو تدبرها.

ومثال آخر : قوله تعالى : ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾[5]. وقوله تعالى : ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب**﴾[6]. فالتفكر والاعتبار في الآيتين مجالهما واحد وهو قصص القرآن.

---

(١) سورة النحل : الآيات ١٠-١٣.
(٢) سورة ص : آية ٢٩.
(٣) سورة الأنعام : آية ٥٢.
(٤) سورة محمد: آية ٢٤.
(٥) سورة الأعراف : آية ١٧٦.
(٦) سورة يوسف : آية ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل ذلك أيضاً : قوله تعالى : ﴿... **ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً** ...﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض** ...﴾[2].

ففي الآية الأولى ثناء على أولي الألباب من المؤمنين بأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض، وفي الآية الثانية انكار على المكذبين الذين عطلوا عقولهم عن النظر في السموات والأرض وما يدل عليه خلق السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة.[3]

وعليه فإن القول بأن التفكير عمليّة عقلية تشمل كل نشاط عقلي كالتذكر والفهم والحكم وغيرها هو التعريف الذي يبدو للباحث أكثر انسجاماً مع استخدام القرآن لمفردات مختلفة تدل على عملية التعقل، وإن كان لكل لفظ منها معناه الخاص الذي ينفرد به في السياق الذي ورد فيه.

أهداف التفكير :

العمليات العقلية التي ذكرها القرآن الكريم عمليات هادفة، فهي ليست مجرد دعوة لملاحظة الظوهر، أو تداعيات لصور وخواطر وأحداث، وإنماهي دعوة لإعمال العقل في الظواهر والأحداث للوصول إلى أهداف وغايات محدّدة ومن هذه الأهداف التي دعا القرآن إلى إعمال العقل للوصول إليها:

أ- الاستدلال على وجود الخالق -سبحانه- وتعميق الإيمان به. ويكاد يكون هذا هدفاً كلياً عاماً لجميع العمليات العقليّة، فالله - عز وجل - يثني على عباده المؤمنين المتفكرين بقوله : ﴿... **ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك** ....﴾[4]. فمن خلال تفكرهم عرفوا أن للكون خالقاً وأن الكون لم يخلق عبثاً. ويقول الله تعالى : ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**...﴾[5]. أي «أو لم ينظروا فيها نظر تفكر وتدبر، حتى يستدلوا بكونها محلاً للحوادث والتغييرات على أنها مُحدَثات، وأن المحدَث لا يستغني عن صانع يصنعه على هيئة لايجوز عليه ما يجوز على المحدَثات»[6].

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٩١.
(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٥.
(٣) انظر : أبوالسعود : مرجع سابق. مج٢. جـ٣. ص ٢٩٩.
(٤) سورة آل عمران : آية ١٩١.
(٥) سورة الأعراف : آية ١٨٥.
(٦) البيهقي، أبوبكر. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرّشاد. ص ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- العمل بمقتضى الحق الذي اهتدى إليه الإنسان بفكره وآمن به بقلبه. ويدل على هذا كثير من الآيات منها قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد واتقو الله إن الله خبير بما تعملون**﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿**فهل عسيتم إن توليتهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم- أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[2].

فإنهم لو تدبروا القرآن وفتحوا له قلوبهم لما تولّوا ولما أفسدوا في الأرض، وذلك أن «تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الرّوح، وينشيء حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير»[3].

ويوضح المحاسبي الترابط بين عمل العقل وعمل الجوارح، فيرى أن العقول «معادن الحكمة، ومقتبس الآراء، ومستنبط الفهم، ومعقل العلم، ونور الأبصار، إليها يأوي كل محصول، وبها يُستدلُّ على ما أخبر به من علم الغيوب، فبها يقدّرون الأعمال قبل كونها، ويعرفون عواقبها قبل وجودها، وعنها تصدر الجوارح بالفعال بأمرها، فتسارع إلى طاعتها، أو تزجرها ، فتمسك عن مكروهها»[4].

وقد توصل علماء النفس المعرفي بعد بحث طويل إلى أن النشاط الفكري الداخلي للإنسان سواء شعر به الفرد أو لم يشعر هو الذي يوجه سلوكه وتصرفاته الخارجيّة، ولذلك فقد ركز هؤلاء العلماء في علاجهم لمرضاهم على تغيير التفكير الشعوري عندهم، لما لذلك من أثر في استجابات الإنسان الإنفعاليّة.[5]

جـ- الكشف عن السنن الإلهيّة في بناء الكون وأحداثه وظواهره بهدف تسخيرها لخدمة الإنسان، قياماً بواجب الاستخلاف الذي كلف الله به الإنسان على هذه الأرض. قال تعالى : ﴿**الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[6].

---

(١) سورة الحشر : آية ١٨.

(٢) سورة محمد : الآيات ٢٢-٢٤.

(٣) قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٦. جـ٦. ج ٢٦. ص ٣٢٩٧.

(٤) المحاسبي. مرجع سابق. ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٥) بدري. مرجع سابق. ص ٣٠-٣١.

(٦) سورة الجاثية : الآيات ١٢-١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتسخير الله البحر وما في السوات وما في الأرض للإنسان يقتضي أن يبذل الإنسان وسعه للاستفادة من هذه المسّخرات، ولاسيّما أن التسخيـــر معلّلاً : ﴿**لتجري الفلك فيه**﴾، ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾. فإهمال الإنسان لهذه المسخرات وعدم انتفاعه بها، تقصير وعجز لايليق بالمسلم، ثم إن تسخيرها يحتاج إلى تفكّر وتدبّر، ولذا فقد ختمت الآيات بقوله تعالى : ﴿**إن في ذلك لآيـــات - لقوم يتفكّرون**﴾.[1]

وقال تعالى : ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيـــــج**﴾[2].

ويرى بعض الباحثين أن الأمر بالنظر في كيفية تكون الظواهر الكونية، يتطلب «نظراً متخصصاً وجهوداً متواصلة، لأن الرؤية العابرة للظاهرة الكونيّة أو الاجتماعية شيء يستطيعه معظم الناس، جاهلهم وعالمهم، أما اكتشاف (كيف) تكوّنت هذه الظاهرة أو الآية الكونيّة فإنّه لا يستطيعهُ إلا جهابذة العلماء»[3].

د- الكشف عن السنن الإلهيّة في حياة البشر والمجتمعات وقيام الحضارات واندثارها : قال تعالى : ﴿**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾[4].

فالله -سبحانه- يأمر بالنظر في وقائع الحياة وأحداثها، لأنها لاتحدث جزافاً، بل هي محكومة بسنن وأسباب، والمسلمون «ليسوا بدعاً في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لاتمضي جزافاً؛ إنما هي تتبع هذه النواميس. فإذا هم درسوها، وأدركوا مغازيها، تكشّفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام»[5].

ويقول تعالى : ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾[6]. لقد جاء هذا التعقيب على قصة يوسف -عليه السلام- وهي «نموذج من قصص المرسلين. فيها عبرة لمن يعقل، وفيها تصديق لما جاءت به الكتب المنزلة من قبل، على غير صلة بين محمد وهذه الكتب. فما كان يمكن أن يكون ما

---

(١) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٦٠.

(٢) سورة ق : الآيات ٦-٧.

(٣) الرشدان، محمود. حول النظام المعرفي في القرآن الكريم. ص ٢١.

(٤) سورة آل عمران : آية ١٣٧.

(٥) قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج١. جـ٤. ص ٤٧٨.

(٦) سورة يوسف : آية ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء به حديثاً مفترى. فالأكاذيب لا يصدّق بعضها بعضاً، ولا تحقق هداية، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الرّوح والرّحمة »[1].

هـ- التعرف على الطبيعة الإنسانية وأطوار خلقها وخصائصها وما في خلق الإنسان من حكمة وإبداع.-فالقرآن الكريم يحث على النظر والتفكر في النفس الإنسانية، ومراحل خلقها وهو يفصل في كثير من آياته خصائص الإنسان وصفاته النفسيّة وأنماط سلوكه.

قال تعالى : ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمّى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾[2].

وقال تعالى : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[3].

وقال تعالى : ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خلق، خلق من ماء دافق ...﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ومن نعمّره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾[5].

وقال تعالى : ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً، إذا مسّه الشر جزوعاً، وإذا مسّه الخير منوعاً إلا المصلين﴾[6].

و- التثبت من صدق الأفكار والمبادىء والمعتقدات، والتأكد من صلاحيتها، قال تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ »[7]. فما ينبغي أن يكون إبراهيم -عليه السلام- يهودياً ولا نصرانياً لأن بعثته عليه السلام كانت قبل اليهودية وقبل النصرانيّة.

وقال تعالى : ﴿قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾[8]. فإن من كان له مسحة من عقل لايعبد صنماً لاينفع ولايضر.

وقال تعالى : ﴿أينما تكونو يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌ من عند الله فمالِ هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا﴾[9].

---

(١) قطب، سيد. مرجع سابق. مج٤. جـ١٣. ص ٢٠٣٧.

(٢) سورة الروم : آية ٨.

(٣) سورة الذاريات : الآيات ٢٠-٢١.

(٤) سورة الطارق : الآيات ٥-٦.

(٥) سورة يس : آية٦٨.

(٦) سورة المعارج : الآيات ١٩-٢٢.

(٧) سورة آل عمران : آية ٦٥.

(٨) سورة الأنبياء : الآيات ٦٦-٦٧.

(٩) النساء : آية ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«فنسبته إنشاء الحسنة أو إنشاء السيئة، وإيقاعها بهم، للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو بشر منهم، مخلوق مثلهم - نسبة غير حقيقية، تدلّ على عدم فهمهم لشيء ما في هذا الموضوع»[1].

والذي يظهر للباحث مما سبق أن التفكير في القرآن عملية عقليّة شاملة لمختلف أنواع النشاط العقلي، وهذا يؤيد ما ذهب إليه من عرّفوا التفكير بأنه كل نشاط عقلي أدواته الرموز وإن كان القرآن قد ذكر عمليات عقليّة أخرى إلا أن هذه العمليات هي نمط من أنماط التفكير بحسب المجال الذي تتم فيه عملية التفكير.

والدّعوة إلى التفكير في القرآن دعوة أصيلة لا تأتي عرضاً وإنما هي حيث وردت دعوة مقصودة هادفة، وهي شاملة لمختلف مجالات النشاط الإنساني، وفي هذا دعوة للمسلمين إلى جعل التفكير منهجاً وأسلوباً حياتياً في كل شؤونهم، وأن ينفلتوا من قيود الإلف والعادة، وأن يخضعوا كل معرفة أو نشاط إنساني للبحث والنقد والتمحيص ، وبذلك تترقى الحياة وتنمو المعرفة ويبقى الإنسان المسلم صاعداً أبداً في مدارج التقدم والرقي.

(١) قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٢، جـ٥. ص ٧١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

وسائل التفكيـــــــر

المبحث الأول : الحـــــــــــواس

المبحث الثاني : اللغـــــــــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

وسائل التفكيـــــر

مقدمة :

من فضل الله – عز وجل – على الإنسان أنه خلقه مزوّداً بأدوات تمكنه من إدراك الأشياء والمحسوسات، ثم جعل له القدرة على تكوين صور ذهنيّة لهذه المحسوسات، وإعطائها رموزاً تدلّ عليها، كما أنّه قادر على تذكر صور هذه الموجودات، واسترجاع الأحداث المرتبطة بها عند التفكير فيها، ومن ثمّ تنظيم هذه الخبرات للوصول إلى استنتاجات وأحكام وحلول للمشكلات التي تواجهه.

والتفكير لايحدث إلا بإدراك الإنسان للأشياء، عن طريق الإحساس بها، وانتقال هذا الإحساس إلى الدّماغ، ثم الربط بين هذا الإحساس والمعلومات السابقة لدى الإنسان لتفسير هذا الواقع والحكم عليه[1].

ومن الأمور التي لاخلاف فيها أن للتفكير وسائل يستخدمها الإنسان ويوظفها في نشاطه العقلي، ويرى بعض الباحثين أن الرموز هي وسيلة التفكير الرئيسة، ويقصد بها كل ما ينوب عن الشيء أو يشير إليه، أو يعبر عنه أو يحلّ محلّه في غيابه، ويشمل ذلك الصور الذهنيّة والمعاني والألفاظ والأرقام والإشارات والخرائط والصيغ الرّياضية وغيرها[2].

وسيتناول الباحث في هذا الفصل وسيلتين من وسائل التفكير هما : الحواس واللغة، وذلك أن الصور الذهنيّة والمعاني الكليّة هي غالباً نتاج خبراتنا الحسيّة، والوسيلة الأساسيّة في تكوينها هي الحواس.

أمّا اللغة فهي أرقى طريقة رمزية هُدي إليها الإنسان للتعبير عن الأحداث والأشياء والمفاهيم والمعاني، كما أنها تشمل جميع أشكال التعبير عن المعاني والأفكار.

---

(١) عبدالله، محمد حسين. مفاهيم إسلاميّة. ص ٣٤.

(٢) راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس. ص ٣١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

الحـــــــواس

الحواس قوى زود الله بها الإنسان، ليتمكن بواسطتها من الإتصال بالمحسوسات، فهي تشبه النوافذ التي يطلّ منها العقل على العالم الخارجي، إذ أنها تنقل المؤثرات الخارجيّة المختلفة إلى الدماغ، وبدونها لا يستطيع الإنسان التفاعل مع البيئة المحيطة به تفاعلاً سليماً.

وقد امتن الله سبحانه وتعالى - على الإنسان بنعمة الحواس، وأشار القرآن الكريم إلى أن تزويد الإنسان بالحواس، أمر يقتضيه تكليف الإنسان وابتلاؤه بحمل الأمانة، فجعله الله - سبحانه وتعالى - سميعاً بصيراً، ليتمكن من التفكر والتدبر والاهتداء إلى الحق، قال تعالى : ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً**﴾[1].

أقسام الحواس :

يقسم الفلاسفة الحواس إلى قسمين : حواس ظاهرة، وحواس باطنة. أما الحواس الظاهرة فهي الحواس الخمس : السّمع والبصر واللمس والشمّ والذوق. ولا ينكر عاقل وجود هذه الحواس ولا أهميتها في حياة الإنسان وفي إدراكه.

أما الحواس الباطنة فهي قوى باطنة تقبل الصور المتأدية إليها من الحواس الظاهرة فتجمعها وتحفظها وتتصرف فيها، فهي عمليات داخليّة مرافقة لعمليات الإحساس الخارجي، تظهر في القدرة على التمييز بين مدرك حسّي ومدرك حسّي آخر، وفي القدرة على استرجاع المدركات الحسيّة وتخيلها، وقد قسمها ابن سينا إلى أربعة أقسام هي : قوة الحس المشترك وقوة الخيال وتسمى متخيلة بالنسبة إلى النفس الحيوانية ومفكرة بالنسبة إلى النفس الإنسانية، والقوة الوهمية وقوة الحافظة أو الذاكرة[2].

---

(١) سورة الإنسان : آية ٢.

(٢) بدوي، عبدالرحمن. موسوعة الفلسفة. جـ١. ص ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القرآن الكريم فلم يفصل هذا القسم من الحواس، فليس ذلك من منهج القرآن، بل يذكر القرآن عمليات عقليّة داخلية ينسبها إلى القلب، ولا يجزىء الوظائف النفسيّة الداخليّة إلى حسيّة وعقليّة، بل يجمع بينها، إذ إن الإنسان وحدة متكاملة لايمكن أن نفصل بين ما يجري في داخل كينونته من تذكر وتفكر وتخيل وتدبر ... والعمليات التي تجري في داخل النفس الإنسانية قد تكون مرتبطة بالإحساس الخارجي وقد لا تكون كذلك[1].

والذي ينبغي الإلتفات إليه وبيانه في هذا الموضع هو الحسّ الظاهري ، وهذه الحواس وآلاتها هي :

أولاً : السمّع وآلته هي الأذن.
ثانياً : البصر وآلته العين.
ثالثا : اللمس وآلته الجلد.
رابعاً : الذوق وآلته اللسان وباطن الفم.
خامساً : الشم وآلته الأنف.

والقرآن الكريم لم يفصل هذه الحواس، ولم يقدم لنا تشريحاً لها، ولا كيفية تركيبها، ولا الاليّة التي تتم بها عمليّة الإحساس، لأن ذلك متروك للبحث والدراسة، والقرآن الكريم يحض على ذلك ويأمر به، فذلك متضمن في الأمر بالنظر في الأنفس والآفاق.

والقرآن الكريم لم يذكر جميع هذه الحواس، وإنما تكرر ذكر أهمّها، وهي السمع والبصر،وبالرجوع الى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نجد أن القرآن ذكر السّمع كصفة للإنسان وما اشتق منه في نحو مائـة وأربعين موضعا، وذكر آلة السمع وهي الأذن في خمسة عشر موضعاً.

كما ذكر القرآن البصر وما اشتق منه في نحو تسعين موضعاً، وذكر آلة الإبصار وهي العين في نحو ثلاثين موضعاً.

أما اللمس فقد ذكر في القرآن الكريم ثلاث مرّات، وأشار القرآن الكريم إلى وجود الإحساس في جلد الإنسان في قوله تعالى : ﴿**إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلّناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً**﴾[2].

---

(١) انظر : الكردي، مرجع سابق. ص ٥٠٩.
(٢) سورة النساء : آية ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشار القرآن الكريم إلى حاسّة الشمّ في موضع واحد في قوله تعـــــالى : ﴿ولّما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾»[1].

وذكر القرآن الكريم الذوق وما اشتق منه في نحو ستين موضعاً، لكنّه استعمل في المعنى الحسّي في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿فلّما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة ...﴾[2]، وقد استعمل الذوق في الأغلب فيما يُصيب الكافرين يوم القيامة من عذاب.

والقرآن الكريم يذكر السمع والبصر أكثر من غيرهما من الحواس، وذلك لأهمية هاتين الحاستين ودورهما في الوصول إلى المعرفة، ولذا فقد جمع الله - عز وجل - بين السّمع والبصر وبين الفؤاد أو العقل أو القلب في آيات كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿إن السمّع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[3]. وقوله تعالـــى : ﴿ثمّ سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ولقد مكنّاهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾[5].

وأهميّة السمع والبصر تنبع من كونهما الحاستين العلميتين اللّتين تقدمان للعقل والقلب مادّة التفكير والاستدلال، فمعطياتهما تشكل المادة الأوليّة للمعرفـــــة[6]. كما تظهر أهميتهما في الإدراك والفهم، حيث أن من تعطلت لديه إحدى هاتين الحاستين فإن معرفته وقدرته على الفهم والتفكير تتأثر بشكل كبير، فتعلم اللغة والنطق يعتمد بشكل كبير على السمع، فإن من ولد أصماً فإنه سيجد صعوبة كبيرة في التفاعل مع المحيط الخارجي والتفاهم معه، بمعنى أن السمع له دور كبير في تنمية مدركات الإنسان وذهنه ووعيه، كما أن حاسّة البصر هي الأداة الرئيسة في تعلّم الكتابة[7] غير أن تأثير بقية الحواس في قدرة الإنسان على الفهم والإدراك يعدُّ ضعيفاً إذا ما قورن بحاسّتي السمع والبصر، ففقدان الذوق أو الشمّ أو اللمس قد لا يؤثر كثيراً في قدرات الإنسان المعرفيّة.

---

(١) سورة يوسف : آية ٩٤.
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٢.
(٣) سورة الإسراء : آية ٣٦.
(٤) سورة السجدة : آية ٩.
(٥) سورة الأحقاف : آية ٢٦.
(٦) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٥١-٥٢.
(٧) جلبي، خالص. مرجع سابق. جـ١. ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم وهو يذكر الحواس يقدّم السّمع على البصر في أغلب المواضع، ولا شك أن التقديم والتأخير في القرآن لايكون عبثاً، ففيه دلالة على أهميّة المتقدم وأفضليته على المتأخر، وقد ذكر بعض العلماء أدلّة على أفضلية حاسة السمّع على البصر، من هذه الأدلة :

أولاً : أن السّمع هو الوسيلة التي تلقى بها الأنبياء الوحي من ربهم، فالسمع شرطٌ للنبوّة، ولذلك ما بعث الله نبياً أصماً[1]، ثم إن ما يأتي عن طريق السمع أدق وأصح، وهو الحقيقة لأنه الوحي في حين أن ما يأتي عن طريق البصر راجعٌ للإنسان، فقد يصلُ إلى الحقيقة وقد لايصل.

ثانياً : أن الحجّة على الناس تقوم من حيث السّمع أعظم منها من حيث البصر، إذ البصر وسيلة لمشاهدة الأحوال الدّالة على التوحيد، والتي قد لايهتدي إليها كثير من الناس، والسماع أبلغ في إقامة الحجّة، فكان السّماع أحق بالتقديم وأنسب بالمقام[2].

ثالثاً: أن السّمع يدرك به من جميع الجهات، وفي النور والظلمة، ولايدرك بالبصر إلا من الجهة المقابلة، ولاتمكن الرؤية إلابوجود الضوء[3].

رابعاً : أن السّمع أهم من البصر في عمليّة الإدراك الحسّي والتعلّم، فمن فقد بصره فيمكنه تعلّم اللغة وتحصيل العلوم، ولكن من ولد وهو أصم فسيجد صعوبة كبيرة في تعلم اللغة وتحصيل العلم[4].

خامساً: أن حاسّة السّمع تعمل عقب الولادة مباشرة، بينما يحتاج الطفل الوليد إلى فترة من الزمن حتى يستطيع رؤية الأشياء بوضوح، وتبقى حاسّة السّمع تؤدي وظيفتها باستمرار، حتى عند النوم فإنّ الصوت الشديد يوقظ النائم، ولذا فإن الله - عز وجل - قد ضرب على آذان أهل الكهف حتى لايوقظهم صوت[5]، قال تعالى : ﴿**فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا**﴾[6]

---

(١)(٢) أبوالسعود، مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ٣٨.

(٣) القرطبي. مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ١٣٣.

(٤)(٥) نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. ص ١١٥-١١٦.

(٦) سورة الكهف : آية ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى بعض الباحثين أن البصر مقدّم على السمع[1]، واستدلّوا على ذلك بأن أغلب الصور الواردة على العقل بصريّة، كما أن الإنسان في أحلامه يشهد رؤى ولا يسمع كلاماً إلا نادراً، وقالوا بأن البصر هو أداة الإنسان في التعرّف على الأشياء من حوله والاستجابة للبيئة التي يعيش فيها.

أما المواضع التي قدّم فيها البصر على السّمع في القرآن فهي محدودة، وجاءت في معظمها في مجال تعطيل الحوّاس، فقدّم البصر لأن تعطيل البصر أقل ضرراً من تعطيل السّمع، فإذا كان لابدّ للإنسان من أن يعطل حواسّه ، فالأولى أن يتعطل بصره ولايتعطل سمعه. ثمّ إن بعض هذه الآيات جاءت لتسوي بين المشركين وبين الأنعام في تعطيلهم لحواسّهم، والبصر في حال الحيوان أهم منه في حال الإنسان، لأن سمع الحيوان لايؤدي وظيفة معرفيّة، فقدّم البصر[2]. ثم إن كثيراً من الآيات التي قُدّم فيها البصر كان الأمر متعلقاً باليوم الآخر، والناسُ في اليوم الآخر في موقف المشاهدة والمعاينة ولا حاجة للسمع في ذلك الموقف العظيم.

أهمية الحواس :

لم ينكر أحد وجود الحوّاس وأهميتها ودورها في إدراك الموجودات، إلا ما نقل عن السّوفسطائية الذين ينكرون وجود المدركات، ويقررون أن ما يدرك بالحوس هو بمنزلة ما يظنه النائم مما يراه في نومه[3].

إلا أن الفلاسفة قد اختلفوا حول دور الحواسّ في الوصول إلى المعرفة، فذهب أصحاب المذهب الحسّي (بيكون وجون لوك) إلى أن كلّ معرفة يصل إليها الإنسان - سواء كانت فكراً راقياً أو إدراكاً أولياً - مصدرها وأصلها الحواسّ، سواء كانت هذه الحواسّ ظاهرة أو باطنة، ويسمّون إدراك الأشياء الخارجيّة إحساساً، بينما يطلقون على إدراك الأشياء الباطنة تأمّلاً[4].

فالحسّ عند أصحاب هذا المذهب هو أصل كل معرفة يصل إليها الإنسان، والعقل عندهم حجرة مظلمة، لاتنفذ إليه المعرفة إلا عن طريق الحوّاس أولاً، والتي تقدم إلى العقل طائفة من الأحاسيس، ثمّ يجيء بعد ذلك التأمل وما ينشأ عنه من أفكار فالعقل لايسعه إلا أن يدرك ما تقدمه له الحواس، أمّا هو فعاجز عن أن يخلق بنفسه أفكاراً غير التي تمدّه بها الحواس[5].

---

(١) زريق، معروف. علم النفس الإسلامي. ص ٧٢.

(٢) انظر : الكردي، راجع. مرجع سابق. ص ٥٠٥-٥٠٦.

(٣) شلق، علي. العقل في الإسلام : الفرق والأحكام. ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٤) راجع : راپوپرت، إ.س. مرجع سابق. ص ١٩٣-١٩٩.

(٥) زرزور، عدنان. مقالة في المعرفة. ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذهب أصحاب المذهب العقلي (ديكارت وسبينوزا) إلى أن المعرفة التي تحصل بواسطة الحواسّ مضلّلة، وأن الحواسّ خدّاعة كذابة، وأن ما تنقله الحواس هو مظاهر الأشياء لا حقيقتها، فالمعرفة عندهم إنما تحصل بالفكر أي بالتفهّم والتعقل وأن ذلك هو المنبع الوحيد للمعرفة[1].

ويرى أصحاب هذا المذهب أن القوّة العاقلة في الإنسان، هي مصدر كل علم حقيقي، وأنه لولا العقل لما عرفنا حقيقة عامّة، وأن ما تنقله الحواس هو مظاهر الأشياء الخارجيّة لاماهيتها وحقيقتها، وأن التفكير وحده هو الذي يمكن أن يمدّنا بالمعرفة[2].

والمذهبان الفلسفيان الحسّي والعقلي يقرّان بإمكانيّة المعرفة، ولكن الخلاف بينهما هو حول أصل المعرفة ومصدرها، فبينما يرى أصحاب المذهب الحسّي أن الحوّاس هي أصل كل معرفة يمكن أن يصل إليها الإنسان، يذهب أصحاب المذهب العقلي إلى أن بعض المدركات التي تكوّن المعرفة ليس أساسها الحواس، فليس الأمر مقصوراً على الحسّ والتجربة[3].

أما القرآن الكريم فقد ذكر منّة الله على الإنسان بالحواسّ، وأكد دورها وأهميتها في التعقل والإدراك، وربط بينها وبين العقل، وذلك في معرض المنّ على الإنسان بهذه النّعم العظيمة التي توجب على الإنسان شكر الله عليها وذلك بتفعيلها إلى أقصى مدى ممكن من أجل الوصول إلى المعرفة، والاهتداء إلى الحق، قال تعالى : **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾**[4].

وفي آيات كثيرة تتكرر الدعوة إلى استخدام الحواسّ استخداماً يؤدي إلى إدراك الحقائق وما تتضمنه من دلالات وأحكام، وتأتي الدّعوة إلى استخدام الحواسّ بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي يتضمن الحض على الاستماع والنظر والتفكر، قال تعالى : **﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾**[5].

---

(١) زرزور، عدنان. مرجع سابق. ص ٣٢-٣٤.
(٢) زرزور، عدنان. مرجع سابق. ص ٣٢-٣٤.
(٣) راپورت، مرجع سابق. ص ١٩٣-١٩٩.
(٤) سورة النحل : آية ٧٨.
(٥) سورة القصص : الآيات ٧١-٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والله عز وجل ينهى المؤمنين عن التشبه بالكفار في إعراضهم عن الحق، وإستكبارهم عن سماع الهدى فقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون، ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، إن شرّ الدّواب عند الله الصمّ البكم الذين لايعقلون، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون**﴾[1]. فالله -عز وجل- يشبّه المشركين الذين يعطلون حواسهم بالأنعام، لأن ما يتميّز به الإنسان عن الحيوان هو الإدراك، فإذا عطل الإنسان حواسّه ارتكس إلى مرتبة الحيوان. كما أن الله -عز وجل- يشبههم في آيات أخرى بالموتى، لأن الميت قد تعطلت لديه الحواس، فكذا الكافر الذي يتعامى عن رؤية آيات الله وسماع حججه القاطعة، قال تعالى : ﴿**فإنّك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين، وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**﴾[2].

وظيفة الحواس :

اهتمام القرآن وتنويهه بالحواس، إنما يرجع إلي دورها في الإدراك والوصول إلى المعرفة، فالحواس للإنسان هي وسيلة تفكيره وتدبيره، فإن الإنسان لايعقل الأمور إلا بالحس، «فأمّا أن العقل الذي هو عقل الأمور العامّة التي أفرادها موجودة في الخارج يحصل بغير حس فهذا لايتصور. وإذا رجع الإنسان إلى نفسه وجد ذلك، وأنه لايعقل مستغنياً عن الحسّ الباطن أو الظاهر لكليّات مقدرة في نفسه، مثل الواحـــد والاثنين والمستقيم والمنحنى، والمثلث والمربع، والواجب والممكن والممتنع، ونحو ذلك مما يفرضه هو ويقدّره »[3].

وللحواس وظيفة أوليّة لايختلف حولها وهي الإدراك الحسّي السليم، والتمييز بين المحسوسات، فيدرك الإنسان بمعونة الحواس الأشكال والأحجام، ويميّز بين المحسوسات، ويسمّي الأشياء بأسمائها، ويقابل الأضداد بأضدادها، ويجمع بين المتشابهات ويقيس الأمور بعضها على بعض فيدرك الأمور المعنويّة المجرّدة استدلالاً بالأمور المحسوسة[4]، قال تعالى : ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور**﴾[5].

---

(١) سورة الأنفال : الآيات ٢٠-٢٣.

(٢) سورة الروم : الآيات ٥٢-٥٣.

(٣) ابن تيميّة. نقض المنطق. ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) انظر : النحلاوي، التربية بالآيات. ص ٤٨-٥٠.

(٥) سورة فاطر : الآيات ١٩-٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن الإدراك الحسّي هو أول مراحل الاستدلال على وجود الله تعالى، فإن العقل بمعونة الحس يدرك وجود الظواهر والموجودات، ثم لا يقف عند هذا الحدّ، بل يبحث في سبب وجود هذه الموجودات، وفي سبب وجود الكون كلّه، فإن عالم الحسّ كما يدرك المحسوسات الجزئية، فإنه يشمل المحسوس الأعظم وهو العالم[1]. والقرآن يعرض المشاهد الكونيّة، ثمّ يستثير في الإنسان الرّغبة والجدّ لتؤدي الحواسّ وظيفتها وليصل العقل عن طريقها إلى الإيمان بالله عز وجل والتسليم بأن هذه الظواهر لم توجد نفسها بل أوجدها رب السموات والأرض، قال تعالى : ﴿**أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكّهون، إنا لمغرمون، بل نحن محرومون، أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون**﴾»[2].

ثمّ إن العقل بمعونة الحسّ يبحث في صحة النبوّة، وصدق النبي فيما يبلغه عن ربه فإن صدق النبي يرجع إلى أدلّة من عالم الحس تتعلق بشخص النبي وما جاء به، وما دعا إليه[3]، ومن هنا فإن القرآن يدعو المشركين إلى التأمّل في حال النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة، وما اشتملت عليه سيرته من دلائل تؤكد صدقه فيما جاء به، قال تعالى : ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾»[4]، قال أبو السعود : «أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو من يعتادهما لارتابوا وقالوا لعلّه التقطه من كتب الأوائل، وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً»[5].

والقرآن الكريم يذكر السمع والبصر في مقابل الصمم والعمى، وذلك تمثيلاً لحال المؤمنين وحال الكافرين، فالمؤمنون يسمعون آيات الله ويرون دلائل قدرته، فيتفكرون ويقوى بذلك إيمانهم، بينما يتعامى الكافر عن آيات الله ويصم أذنيه عن سماع الحق استكباراً وجحوداً، قال تعالى : ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون، إن السّاعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**﴾[6].

---

(١) زرزور، عدنان. مقالة في المعرفة. ص ٨٦.

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٦٣-٧٠.

(٣) زرزور. مرجع سابق. ص ٨٩.

(٤) سورة العنكبوت : آية ٤٨.

(٥) أبوالسعود. مرجع سابق. مج٤. جـ٧. ص٤٣.

(٦) سورة غافر : الآيات ٥٨-٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم لاينفي عن الكفار والمنافقين صفة الإدراك جملة، فهو يثبت لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة، لكن هذه الطاقات لاينتفع بها أصحابها في سماع الحق والاستجابة له، وذلك يرجع إلى أسباب ذاتية تتعلق بعدم رغبتهم في فهم هذا الدين وبغضهم له، ولذا فهم لايقدرون على الاستماع إليه، فضلاً عن تدبّره والتفكر فيه، قال تعالى : ﴿**أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السّمع وما كانوا يبصرون**﴾[1]، قال الزجـــاج : «أي من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي لايستطيعون أن يسمعوا ما يقـــول»[2]، وقال النّحاس : «ومن أحسن ما قيل فيه -وهو معنى قول ابن عباس- إن المعنى : لايستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا يبصرونه بصرَ مهتدٍ، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين»[3].

والحس هو الوسيلة التي زوّد الله بها الإنسان لملاحظة الظواهر الطبيعية، والمشاهد الكونيّة، ولذا فإن الحس هو أهم وسائل البحث العلمي التجريبي، فإن هذا المنهج يقوم على ملاحظة الظواهر في ظروف معينة، ثم يقوم الإنسان بإجراء التجربة في ظروف جديدة ثمّ يسجل ملاحظاته، والحواس هي أهم أدوات الإنسان في مثل هذه الملاحظة العلمية، وهذا يدل على أن معطيات الحواسّ هي أساس التفكير وأساس الحكم[4]، ولذا فإننا نجد في كتاب الله -عز وجل- آيات كثيرة تدعو إلى النظر وإلى التفكير في الظواهر الكونيّة، قال تعالى : ﴿**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعـــون**﴾[5]، وقـــال تعالـــى : ﴿**والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعـــون**﴾»[6]، وقال تعالى : ﴿**ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثمّ يؤلف بينه ثمّ يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزّل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمّن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يقلّب الله الليل والنهار إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾[7].

والقرآن وهو يجعل للحواس هذه المكانة، ويدعو إلى استخدام هذه الحواس في النظر والتفكر والملاحظة، لا يجعل لها دوراً مستقلاً منفصلاً عن دور العقل وإنما يجعل دورها متكاملاً مع العقل، بل القرآن يجعل العقل حاكماً على الحواس، فهو الذي يحوّل المعرفة الحسيّة إلى معرفة عقليّة[8].

---

(١) سورة هود : الآية ٢٠.
(٢) الزجاج، أبواسحاق. معاني القرآن واعرابه. جـ٣. ص ٤٥.
(٣) النّحاس، أبوجعفر. معاني القرآن الكريم. جـ٣، ص ٣٤٠.
(٤) الكردي، راجح. مرجع سابق. ص ٥٣٨.
(٥) سورة الروم : آية ٢٣.
(٦) سورة النحل : آية ٦٥.
(٧) سورة النور : الآيات ٤٣-٤٤.
(٨) الكردي، مرجع سابق. ص ٥٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإحساس والإدراك الحسي :

يرى علماء النفس أن الإحساس حادثة نفسيّة أوليّة في الحياة الإنسانية، تتمثل في الاستجابة الأوليّة للمثيرات الخارجيّة أو الدّاخلية، والتي تنشأ عنها تغيرات عضويّة وظيفيّة في الجهاز العصبي، تنعكس آثارها في الشعور الإنساني، ويتم ذلك عن طريق الحواسّ الظاهرة أو الباطنة[1].

وهم يفرّقون بين الإحساس والإدراك الحسّي، فالإحساس عمليّة سلبيّة بسيطة تتمثل في مجرّد استقبال انطباعات حسيّة تنقلها الحوّاس الظاهرة أو الباطنة، فهو نتيجة لإثارة الحسّ عن طريق الصوت أو الرائحة أو اللمس أو الذوق أو الضوء، بينما الإدراك الحسّي هو عمليّة تأويل الإحساسات تأويلاً يزوّدنا بمعلومات، ويفسّر لنا الظواهر التي نحسّ بها في عالمنا الخارجي[2].

فالإدراك الحسّي هو الرّبط بين ما يحسّه الإنسان وبين خبراته عن هذا الشيء المحسوس، وبذلك يكون للإحساس معنى، فالإدراك الحسّي وظيفة للعقل الذي يستطيع فهم الظواهر الحسيّة وتفسيرها، وإصدار الأحكام عليها.

والإدراك يتوقف على شخصيّة الإنسان الذي استقبل المؤثرات الحسيّة، فكل إنسان يدرك الأمور بحسب خبراته الماضية، وما يملكه من رصيد ثقافي، وما لديه من قيم واستعداد لتقبّل المثيرات الحسيّة.[3]

والتفريق بين الإحساس والإدراك الحسّي أمر درج عليه أصحاب المذاهب الفلسفيّة الحسيّة، ويرى بعض الباحثين (الكردي،١٩٧٩م) أنهم لجأوا إلى ذلك لأنهم اعتبروا الحسّ والتجربة هما المصدر الوحيد للمعرفة، فحين اضطروا إلى الاعتراف بدور العقل في الوصول إلى المعرفة، جعلوا له وظيفة حسيّة سمّوها الإدراك الحسّي، وذلك لتجريد العقل من فاعليته، وحصر دوره في التأثر بما تنقله الحواس، وما ينطبع فيه من مثيرات خارجيّة.

وقد سبقت الإشارة إلى موقف كل من أصحاب المذهب الحسّي والمذهب العقلي من الحواس والعقل ودورهما في الوصول إلى المعرفة، ففي الوقت الذي يقصر فيه أصحاب المذهب الحسي دور العقل على استقبال المثيرات الحسيّة فإن أصحاب المذهب العقلي يجعلون مصدر كل معرفة وكل علم حقيقي هو القوّة العاقلة في الإنسان.

---

(١) الهاشمي، عبدالحميد. أصول علم النفس العام. ص ٧٤.

(٢) راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس. ص ١٨٩.

(٣) الهاشمي، عبدالحميد. مرجع سابق. ص ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القرآن الكريم فإنه يجعل للحس والعقل دوراً تكاملياً في الوصول إلى المعرفة، ولا يعمل أحدهما بمعزل عن الآخر، فالعقل وحده معزولاً عن وسائل الحس لا يمكنه أن يصل إلى المعرفة، كما أن الحسّ وحده لايمدنا بأية معرفة، وقد سبقت الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد جمع بين العقل والحسّ في كثير من آياته، منها قوله تعالـــى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾[1]، وفي قوله تعالى : ﴿**كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ إشارة واضحة إلى تكامل دورهما، فقد يدرك الإنسان أمراً ما بحواسه، لكنّه لايكون علماً إلا بعد النظر والتأمل وذلك لايكون إلا بالعقل.

وقد يحدث خطأ في معطيات الحسّ، فالإنسان يرى السّراب يظنّه ماء لشدّة شبهه به من حيث اللمعان والاضطراب، لكن العقل هو الذي يحكم على معطيات الحسّ، ويميّز بين المحسوسات، بناء على الخبرات السابقة[2].

ومن المؤكد أن العقل ليس هو الدّماغ وليس شيئاً مادياً، وعليه فإنّ الإدراك ليس مجرّد تغيّرات فسيولوجيّة في الدماغ، وإنما الإدراك عمل محكوم بما أودع الله سبحانه في الإنسان من قوّة روحيّة، بها يدرك، وبها تعمل الحوّاس، فليس عمل الحوّاس عملاً آلياً ميكانيكياً. وفي التصور الإسلامي فإن الإنسان مخلوق من مادّة وروح، والمادة والرّوح تعملان معاً في انسجام وتوافق[3]، والإنسان أحياناً يرى هذا ويدركه من خلال مشاهداته اليومية، فكم من المؤثرات الحسيّة التي تطرق حواس الإنسان لكنه لايدرك منها شيئاً إذا كان في حالة شرود ذهني، فإذا نبهته من غفلته انتبه ليدرك ما يسمع أو ما يبصر. قال تعالى : ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعله نسله من سلالة من ماء مهين ثمّ سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون**﴾[4].

فالقرآن وهو يتحدث عن الحواس، ينفي عن المشركين إدراك المحسوسات، لأن الحواس لاتؤدي وظيفتها في الإدراك ما لم تتوجه إرادة الإنسان نحو المحسوسات للحكم عليها، وهذا الحكم يشترك العقل مع الحسّ في إصداره، والعقل يصحح مدركات الحواس، فلا يمكن أن يكون هناك إدراك حسّي بغير اجتماع الحسّ والعقل معاً[5].

---

(١) سورة الإسراء : آية ٣٦.

(٢) زينة، حسني. العقل عند المعتزلة. ص ٦١.

(٣) الكردي، راجع. مرجع سابق. ص ٥٢٩.

(٤) سورة السجدة : الآيات ٧-٩.

(٥) راجع : الكردي. مرجع سابق. ص ٥٢١-٥٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أكد هذه النظرة إلي الإحساس كثير من العلماء المعاصرين (روبرت.م أغروس و جورج ن. ستانسيره ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م)، فهم يؤكدون على أهميّة الجوانب الماديّة في الإحساس، لكنهم يقررون أن ذلك ليس كافياً، فالنشاط الفسيولوجي الكيميائي للدماغ أمر ضروري للإحساس، ولكنّه ليس هو الإحساس، والمادة وحدها لاتستطيع أن تفسّر الإدراك الحسّي، ويمثلون لذلك بالكتاب، فإن وجوده متوقف على عناصر الورق والصمغ والحبر التي يتكون منها، لكنّه لايفهم بمجرد تحليل كيميائي للحبر والورق، فإن ذلك لن يكشف عن محتويات الكتاب، لأن محتوى الكتاب يشكل نظاماً أسمى من الخواص الفيزيائية والكيميائية، وبالمثل فإن الإحساس يتوقف على أعضاء الحس، ولكن لايمكن حصره في الخواص الفيزيائية والكيميائية للمادة. إن الإدراك الحسّي حقيقة لايمكن إنكارها، لكنّه ليس شيئاً مادياً، وليس من خواص المادة ولايمكن للمادة أن تفسّره[١].

ولهذا الترابط بين العقل وبين الحواس فإن القرآن قد ربط بين تعطيل الحواسّ وتعطيل العقل، وشبّه الذين يعطلون حواسّهم وعقولهم بالأنعام، قال تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون**﴾[٢].

ومن المعلوم أن للحيوانات حواساً، فهي تحس بالموجودات من حولها، فالعصفور مثلاً بفضل حاسّة الإبصار ينتقي المواد المناسبة لبناء العش، غير أنه لايبني العش لأنه يدرك أن ذلك ضروري للتوالد، بل إن ردود فعل العصفور تثيرها حوافز معيّنة بطريقة آليّة، فدفء الشمس يجعل الغدد النخاميّة تفرز بعض الإفرازات التي تنشط العصفور لبناء العش[٣]، وربما استعاد الحيوان بعض انطباعات عما يُحسّ، لكن هذه الاستعادة ليست ربطاً ولاتفكيراً، والإنسان وحده هو الذي يتمكن عن طريق العقل من فهم علل الأشياء والتعرّف على ماهيّتها، كما أنه يستطيع من خلال المحسوسات أن يستدل على أشياء غير محسوسة، وأن يفكر في المعاني المجرّدة، كالخير والشرّ، والفضيلة والرذيلة، بل يستطيع أن يستدل من خلال المحسوسات على الإيمان بالله - تعالى -[٤].

فليس ما تدركه الحواس إذاً هو فقط مجال التفكير، وليس الحس وحده هو طريق المعرفة، ولذا فإن الإنسان الذي لايرتقي في تفكيره إلى إدراك علل الموجودات، وتفسير الظواهر والأحداث، والإهتداء إلى الإيمان بالله -تعالى-، فإنّه يرتكس إلى

(١) راجع : أغروس، روبرت.م وستانسيو، جورج.ن. العلم في منظوره الجديد. ص ٢٥-٣٠.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٩.

(٣) أغروس، روبرت، وستانسيو جورج. مرجع سابق. ص ٣٣.

(٤) نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. ص ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرتبة أقلّ من مرتبة الحيوان، قال تعالى : ﴿**أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا**﴾[1].

والإدراك عمليّة هامّة لما لها من آثار في حياة الإنسان، وما يكوّنه من مفاهيم وتصورات عن العالم الخارجي وعن البيئة المحيطة به، كما يؤثر إدراك الإنسان في سلوكه وفي تعامله مع الناس الذين حوله، فإن استجابة الإنسان لموقف معيّن تتوقف بشكل كبير على طبيعة إدراكه لذلك الموقف[2].

فينبغي للإنسان أن يتفحّص ما يحسّه، وأن يراقب وسائل الإدراك الحسّي وأن ينمّيها، وأن يحذر من الوقوع في خطأ من أخطاء الحواسّ، كأخطاء النظر أو الوهم أو غيرها[3]. كما أن إدراك الحقائق كما هي عليه في الواقع يتطلب من الإنسان أن يبذل جهده حتى يصل إلى درجة الجزم واليقين في حدود طاقته وإمكاناته.

عوامل الإدراك :

الإدراك ليس عملية بسيطة، بل هو عمليّة معقّدة، تتدخل فيها عوامل كثيرة منها عوامل ذاتية ومنها عوامل خارجيّة، فليس الأمر مجرّد استقبال انطباعات حسيّة، بل هو تفسير وتأويل وحذف وإضافة لما يتأثر به الإنسان من إنطباعات حسيّة، ومن هنا فإن هناك عوامل كثيرة تؤثر في تأويل أو تفسير الإحساسات التي يتأثر بها الإنسان، ومن هذه العوامل ما يلي :

أولاً : **خبرات الفرد الماضية** : وهي ما لدى الإنسان من خبرات وتجارب في موضوع المحسوسات، فإن الإنسان يتأثر تأثراً كبيراً في إدراكه لما يحسّه بما لديه من خبرة في ذلك المجال، ولذا فإن من لدغته أفعى يظن كل حبل يهتز أفعى. ومثل ذلك تهيؤ الإنسان لأمر ما، فإذا كان الإنسان ينتظر صديقاً في مكان عام، فإنه كلّما لمح فرداً يشبهه ظنه هو[4].

ثانياً : **العوامل الاجتماعية** : فإنّ إتجاه الفرد يتأثر باتجاه الجماعة التي يعيش فيها وهذا يؤثر في إدراكه، ويظهر أثر العوامل الاجتماعيّة فيما يعرف بظاهرة الايحاء الإجتماعي، فإن الفرد يميل إلى إدراك الأشياء بنفس الطريقة التي يدركها بها الأفراد الآخرون[5]، والقرآن يدعو الإنسان إلى التحرر من تأثير العوامل الإجتماعية، وأن ينظر إلى الأمور نظراً مجرّداً بعيداً عن تأثير

(١) سورة الفرقان : آية ٤٤.
(٢) نجاتي، محمد عثمان. علم النفس في حياتنا اليوميّة. ص ٢٩٠.
(٣) زريق، معروف. علم النفس الإسلامي. ص ٧٤-٧٥.
(٤) الهاشمي، عبدالحميد. علم النفس العام. ص ٢٠١.
(٥) نجاتي، محمد عثمان. علم النفس في حياتنا اليوميّة. ص ٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيئة ليصل إلى الحق، وقد سبقت الاشارة الى موقف الوليد بن المغيرة من القرآن وأثر المشركين في تغير موقفه .

ثالثاً: **دوافع الفرد وقيمه** : فقد بيّنت بعض الدراسات أثر حاجات الإنسان في الإدراك،-كما بينت دراسات أخرى أثر القيم في الإدراك ومن ذلك تجربة برونر وجودمان إذ طلبا من مجموعة من الأطفال تقدير حجم العملات المختلفة باسقاط ضوء مستدير يمكن التحكم فيه بالتوسيع والتضييق، وقد وجد أن الأطفال الفقراء يزيدون في تقديرهم لحجم كلّ عملة. والفرق بينهم وبين أبناء الأغنياء في ذلك كبير[1].

والقرآن يشير إلى أثر الدوافع في الإدراك، قال تعالى : ﴿**وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون**﴾[2]، جاء في تفسير هذه الآية : «وفي آذاننا وقر» أي صمم، فكلامك لايدخل أسماعنا، وقلوبنا مستورة عن فهمه، «ومن بيننا وبينك حجاب» أي خلاف في الدين، لأنهم يعبدون الأصنام، وهو يعبد الله تعالى ...»[3]، فاختلاف الدين كان سبباً مانعاً لهم من إدراك ما جاءهم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولاشك أن اليهود والنصارى ومشركي قريش لم يكونوا راضين عن الدين الجديد، وكراهيتهم له جعلتهم غير مستعدين لاستماع القرآن وإدراك معانيه، والاستجابة لما جاء به من الحق، بخلاف المؤمنين الذين كانوا في حالة تهيؤ وانتباه لاستماع القرآن وإدراك معانيه[4].

رابعاً: **الحالة النفسيّة الرّاهنة** : وقت حدوث الإدراك، فالانفعال الشديد سواء كان خوفاً أوغضباً يحول بين الإنسان وبين إدراك الأمور على حقيقتها[5]، ومن ذلك ما حصل لموسى عليه السلام بعد أن علم أن قومه قد عبدوا العجل من بعده، قال تعالى : ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولاتجعلني مع القوم الظالمين**﴾[6]، قال القرطبي : «... فلما سمع عذره قال : رب اغفر لي ولأخي، أي اغفر لي ما كان من الغضب الذي ألقيت من أجلـــه

---

(١) جلال، سعد. المرجع في علم النفس. ص ٦٧٣.

(٢) سورة فصلت : آية٥.

(٣) القرطبي. مرجع سابق. مج٨. جـ١٥. ص ٢٢٢.

(٤) نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. ص ١٢١-١٢٢.

(٥) جلال، سعد. مرجع سابق. ص ٦٧٤-٦٧٥.

(٦) سورة الأعراف : آية ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألواح، ولأخي لأنّه ظنه مقصّراً في الإنكار عليهم وإن لم يقع منه تقصير، أي اغفر لي ولأخي إن قصّر »[1].

خامساً : **درجة الانتباه** : والانتباه هو «توجيه الشعور وتركيزه في شيء معين استعداداً لملاحظته أو أدائه أو التفكير فيه»[2]، والإنسان تحيط به أنواع كثيرة من المنبهات الحسيّة المختلفة، السمعية والبصريّة واللمسيّة والذوقية وغيرها، كما أن جسم الإنسان نفسه مصدر لكثير من المنبهات، وكذلك فإن ذهن الإنسان يزخر بالخواطر والأفكار، لكن الإنسان لايستجيب إلى جميع هذه المنبهات وإنما ينتبه إلى مؤثرات معينة دون غيرها.[3]

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الانتباه : الانتباه اللاإرادي وذلك حينما تفرض بعض المنبهات الخارجيّة ذاتها علينا كما يحدث عند حدوث انفجار مثلاً ...، والانتباه الإرادي وذلك عندما نتعمد بإرادتنا توجيه انتباهنا إلى شيء ما، وهذا النوع من الانتباه يتطلب مجهوداً شعورياً ...، والانتباه الاعتيادي وهو الذي لايحتاج إلى مجهود كبير وذلك لأن الإنسان اعتاد الاستجابة لمثل هذه المنبهات دون جهد كبيـــر[4].

والنوع الثاني من الإنتباه وهو الانتباه الإرادي هو الذي يركز عليه القرآن ويدعو إليه، والقرآن يذم المنافقين الذين يعرضون عن سماع القرآن، ولايبذلون جهداً في تدبّره وفهمه، وذلك لافتقارهم إلى دافع الإيمان الذي يحفزهم لاستماع القرآن وفهمه، بخلاف المؤمنين الذين يوجهون انتباههم للقرآن فيعونه، قال تعالى : ﴿**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءَهم**﴾[5].

والله -سبحانه- يذم الغافلين عن تدبّر آياته، فالواجب عليهم الانتباه إلى الأيات المبثوثة في هذا الكون، وتوجيه طاقاتهم الحسيّة نحو هذه الآيات، وتدبّرها للاهتداء إلى ما فيها من عبرة وعظة، قال تعالى : ﴿**إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون**﴾»[6]، وقال تعالى في حـــــق

---

(١) القرطبي. مرجع سابق. مج٤. جـ٧. ص ١٨٤.

(٢) راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس. ص ١٧٩.

(٣) نفس المرجع. ص ١٧٨-١٧٩.

(٤) نجاتي، محمد عثمان. علم النفس في حياتنا اليوميّة. ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٥) سورة محمد : آية ١٦.

(٦) سورة يونس : الآيات ٧-٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرعون : ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾[٢].

وأخيراً فإن الحواس من أهم الوسائل التي زوّد الله بها الإنسان، ليتعرف على ما حوله، وأنه لاخلاف في اعتبارها طريقاً من طرق المعرفة، وأداة من أدوات التفكير، إلا أن الحواس لاتدرك الأشياء إدراكاً آلياً، وإنما فعلها مرتبط بالعقل، فالعقل والحواس جميعاً هي التي تمكن الإنسان من الوصول إلى المعرفة، ومطلوب من الإنسان أن يُعمل طاقاته الحسيّة وأن ينمّيها، ليؤدي دوره في عمارة هذه الأرض والقيام بواجب الاستخلاف الذي كُلف به، وتعطيل الإنسان لحواسّه وقدراته العقليّة تجعل الإنسان يهبط إلى مرتبة أقلّ من مرتبة الحيوان.

(٢) سورة يونس : آية ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

اللغـــــــــة

أصل اللغـــــــة :

إن من أعظم النعم التي منّ الله بها على الإنسان، وميّزه بها على سائر المخلوقات هي نعمة البيان، والقدرة على التعبير وتسمية الأشياء والموجودات، قال تعالى : ﴿**الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علمه البيان**﴾[1].

جاء في تفسير أبي السعود لهذه الآيات : «والبيان هو التعبير عمّا في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرّد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن»[2]، واختصاص الإنسان بالبيان تفضيل له على سائر الحيوانات، لأنها عاجزة عن ذلك، قال خالد بن صفوان : «لولا التبيان لكان المرء بهيمة مهملة أو صورة ممثلة»[3].

وتعليم الله تعالى للإنسان البيان، إنما كان بتعليم آدم عليه السلام لأسماء كلّ شيء كما روي عن ابن عباس وقتادة والحسن[4]، واختلف أهل التفسير في معنى الأسماء التي علّمها الله لآدم عليه السلام : «فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علّمه أسماء جميع الأشياء كلّها جليلها وحقيرها، وروى عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال : كنت جالساً عند ابن عباس، فذكروا اسم الآنية واسم السوط؛ قال ابن عباس : «وعلّم آدم الأسماء كلها»[5].

وقال أبوالسعود : «فمعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بأسماء جميع المسمّيات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها، أو يلقي في روعه تفصيلاً أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت، وذاك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات، فيتلقـــاها عليه الســـلام

---

(١) سورة الرحمن : الآيات ١-٤.
(٢) أبوالسعود. مرجع سابق. ج٤. جـ٨. ص ١٧٦.
(٣) المحاسبي. مرجع سابق. ص ٢٠٧.
(٤) القرطبي. مرجع سابق. مج٩. جـ١٧. ص١٠٠.
(٥) المرجع السابق. مج١. جـ١. ص ١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسبما يقتضيه استعداده، وتستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة »[1].

«وقال الرّبيع في رواية عنه أنّه علّمه أسماء الملائكة، وقال حميد الشامي أسماء النجوم، وقال عبدالرحمن بن زيد علّمه أسماء ذرّيته كلهم»[2].

وقد استدلّ ابن خويز منداد بقوله تعالى : ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلّما أنباهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾[3]. على أنّ اللغة مأخوذة توقيفاً، وأن الله تعالى علّمها آدم عليه السّلام جملة وتفصيلاً[4]، وكذلك قال السّدي في قوله تعالى : ﴿**خلق الإنسان علّمه البيان**﴾[5]، قال : «علّم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به »[6] وذهب ابن فارس إلى أن لغة العرب توقيف ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها**﴾[7].

وذهب بعض العلماء ومنهم ابن جني إلى أن اللغة اصطلاح وتواضع، فقال : «غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لاوحي ولاتوقيف، إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلّها**﴾[8].

إلا أن القول بأن اللغة اصطلاح، بمعنى أن الناس قد اجتمعوا واصطلحو فيما بينهم على تسمية الأشياء، أمر بصعب تصوره، فكيف يمكن لأناس لا ينطقون اجتمعوا معاً وشعروا بالحاجة إلى الكلام فاتفقوا فيما بينهم على تسمية الموجودات، إن ذلك شيء بعيد كما يقول «دي بونالد» : «ذلك أن الإنسان لا يقدر على خلق شيء ما لم يكن لديه فكرة صريحة عنه، إذ أن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها. مما يفيد أن اللغة ليست من صنع البشر، إنها هبة الله »[9].

---

(١) أبوالسعود. مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ٨٤.
(٢) ابن كثير، أبوالفداء. تفسير القرآن العظيم. مج١. جـ١. ص ٧٣.
(٣) سورة البقرة : الآيات ٣١-٣٣.
(٤) القرطبي. مرجع سابق. مج١. جـ١. ص ١٩٤.
(٥) سورة الرحمن : الآيات ٣-٤.
(٦) القرطبي، مرجع سابق. مج٩. جـ١٧. ص ١٠٠.
(٧) حمّاد، أحمد. العلاقة بين اللغة والفكر. ص ١٣.
(٨) ابن جني، أبوالفتح.الخصائص. جـ١. ص ٤١.
(٩) حمّاد، أحمد. العلاقة بين اللغة والفكر. ص ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يظهر من خلال الآية أن أصل اللغة توقيف، فقد دلت الآية على أن آدم عليه السلام كان متكلماً ناطقاً من يوم أن خلقه الله تعالى، فلا يعقل أن يكون آدم أنزل إلى الأرض ثم اصطلحت ذرّيته فيما بعد على لغة يتفاهمون بها فيما بيهم، يؤكد ذلك أن الطفل الذي يولد وهو أصم لايمكن أن يتعلم اللغة، مما يدلّ على أنّ اللغة تلقين.

إلا أن اللغة تنمو وتتطور مع تطور الحياة، فتجدّ في حياة الناس ألفاظ ومسمّيات يصطلح الناس عليها، فاللغة تتوالد، وتتغير دلالات الألفاظ باختلاف البيئات والأزمنة، وربما اندثرت بعض الألفاظ، ونسى الناس دلالاتها الأصلية، كما أن بعض اللهجات أو اللغات تموت وتنقرض.

ولاشك أن الصور الذهنية التي يكونها الإنسان للأشياء والموجودات تسبق اللغة، وأن ذلك يتم عن طريق الحوّاس، كما أن تكوين المعاني هو نتيجة للخبرات الحسيّة، لكن اللغة هي التي تجعل الإنسان قادراً على التعبير عن هذه الصور الذهنيّة والمعاني الكلّية، وتجعله قادراً على التمييز بينها واستخدامها في تعامله مع الآخرين.

فالإنسان يتصور المعاني والأشياء ويدركها أولاً، ثمّ يكون اللفظ رمزاً للدلالة على المعنى، وبدون ذلك فإن الإنسان سيكون عاجزاً عن فهم الألفاظ، ومن هنا كانت الإشارة إلى (المسمّيات) في قوله تعالى : ﴿ثمّ عرضهم على الملائكة﴾ إذ إن الشيء الطبيعي هو السؤال عن (المسمّيات) لتكوين المفاهيم، ثمّ يستغنى عنها (المسمّيات) بالرموز اللغوية، حيث يكتفى بها عوضاً عن عرضها مرّة أخرى[1].

يقول ابن تيميّة : «فتصور المعاني المفردة يجب أن يكون سابقاً على فهم المراد بالألفاظ، فلو استفيد تصورها من الألفاظ لزم الدور ... وهذا أمر محسوس، فإن المتكلم باللفظ المفرد إن لم يبيّن للمستمع معناه حتى يدركه بحسّه أو بنظره وإلا لم يتصور إدراكه له ...»[2].

ومعرفة أسماء الأشياء إنما يتم بالتعليم، وبدون ذلك سيكون الإنسان عاجزاً عن تسميتها، والرّبط بين صورة الشيء واسمه، يقول المحاسبي : «ولولا الاستدلال بالعلم الذي سمعه من أسماء الأشياء ثم رأى الأشياء، لعرفها برؤيا ولم يعرفها باسم ولا تفصيل بين معانيها. أولم تسمع إلى ما وصف الله تعالى ملائكته، إذ سألهم أن

(١) زرزور، عدنان. مقالة في المعرفة. ص ٧٨.

(٢) ابن تيميّة. نقض المنطق. ص ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخبروه بأسماء الأشياء، فقالوا : لا علم لنا. فأمر آدم عليه السلام فأخبرهم بها لأنه علّمه الأشياء »[1].

ويرى ابن تيمية أن «معرفة حدود الأسماء واجبة، لأنه بها تقوم مصلحة بني آدم في النطق الذي جعله الله رحمة لهم، لاسيّما حدود ما أنزل الله في كتبه من الأسماء كالخمر والرّبا، فهذه الحدود هي الفاصلة المميزة بين ما يدخل في المسمّى ويتناوله ذلك الاسم وما دلّ عليه من الصفات، وبين ما ليس كذلك. ولهذا ذمّ الله من سمّى الأشياء بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان »[2].

واللغة هي أرقى وسيلة يمكن للإنسان استخدامها كرموز للأشياء والمعاني، وبذلك يمكن الاحتفاظ بهذه المعاني وتوظيفها فيما يقوم به من عمليات عقليّة، فإن «المعاني تظل حائرة في الذهن حتى تستقر في رموز مناسبة فتثبت وتتبلور وتتركز وتتحدّد، وعندئذٍ يسهل وعيها وتذكرها واستخدامها في التفكير، كما يمكن التعامل بها ونقلها من جيل إلى جيل »[3].

اللغة والتفكير :

لقد تميّز الإنسان بقدرته على الرّبط بين الشيء وصورته في الذهن، والرمز لذلك بصيغة لغويّة، وذلك أن الله -سبحانه - قد جعل للإنسان قدرة على تسمية الأشياء، فهو يدرك الأشياء إدراكاً حسّياً إذا أبصرها أو سمعها أو ذاقها ...، وهو يسترجع صور هذه الأشياء في ذهنه إذا ذكرت أسماؤها أو ما يشير إليها.

وعليه فإن الألفاظ تثير في ذهن السامع أو المتكلم الصور الذهنيّة التي تشكلت عن طريق الإدراك الحسّي، للارتباط القائم بين اللفظ والشيء الذي تشكلت له صورة ذهنيّة لدى الإنسان، ولايمكن للفظ أن يثير في ذهن السّامع إلاّ الصورة التي يرتبط بها عادة في لغة ذلك السّامع، وسماع الإنسان لأية لفظة لايفهمها لاتثير في نفسه شيئاً، ولو استمع الإنسان إلى لغة لا يفهمها ساعات فإنّه لن يدرك مما سمع شيئاً، فمثلاً إذ ذكر أمام إنسان عربي كلمة (ماء) فإن صورة الماء تحضر في الذهن حالاً، بينما لو ذكرت هذه الكلمة أمام آخر لايفهم العربية فإنه لن يدرك شيئـــاً[4].

---

(١) المحاسبي. مرجع سابق. ص ٢٠٦.

(٢) ابن تيمية. مرجع سابق. ص ١٩٣-١٩٤.

(٣) راجح، أحمد عزت. مرجع سابق. ص ٣٢٧.

(٤) زرزور، عدنان. مرجع سابق. ص ٧٧-٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاللغة إذاً لها وظيفة إدراكية، فهي وسيلة الإنسان لإدراك الأشياء، كما أنها وسيلة لتكوين المفاهيم، فالإنسان يدرك بالحس كثيراً من الجزئيات، وهو يؤلف بين هذه الجزئيات ليخرج بمعان كليّة تشمل كثيراً من الجزئيات المختلفة في بعض الصفات، لكنها مشتركة معاً في كثير من الصفات، وتسمّى هذه العملية عملية اكتساب المعاني الكلية أو الإدراك الكلي، وهي وسيلة الإنسان في تكوين المفاهيم[1].

فاللغة إذًا هي وسيلة الإنسان في تكوين المفاهيم، والمفاهيم تتكون عن طريق اللغة ولاتوجد مستقلة عنها، ولذا فقد أجمع علماء اللغات على أن من أهمّ مميزات اللسان البشري هي : صفته الإرغاميّة بالنسبة إلى فكر المتكلم، وبالتالي دوره الرئيسي في تكون المفاهيم»[2].

وفضلاً على دور اللغة في تكوين المفاهيم، فإن اللغة هي أهم وسيلة للتواصل بين الناس، ولذا فقد عرّفها ابن جني بقوله : «أما حدها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[3]، فهي وسيلة الناس في الإبانة عن مشاعرهم وأفكارهم وتجاربهم، وبدون اللغة فإن التواصل الاجتماعي سيكون صعباً إن لم يكن مستحيلاً.

وقد اختلف الباحثون حول إمكانية التفكير دون الاستعانة باللغة، فمنهم من قال : إن التفكير ممكن بدون اللغة، بل إن بعضهم (سبيرمان) يرى أن الألفاظ تضيق بالفكر في كثير من الأحيان، فهو يقول : «ما أشبه ميدان المعرفة بمحيط تناثرت فوق سطحه جبال الجليد .. وليست هذه الجبال إلا الفكر الذي أمكن تجميده في ألفاظ»[4].

ويرى (واطسن) أن التفكير بدون ألفاظ وَهْمٌ كاذب، ذلك أن «التفكير ما هو إلا مجرّد كلام باطـــن»[5]، وهذا ماكس ملر يقول : «ليس ما نسميه بالفكر إلا وجهاً من وجهي النقد، والوجه الآخر هو الصوت المسموع، ولنقد شيء واحد لايقسم، فليس ثمة فكر ولاصوت ولكن كلمات»[6].

---

(١) راجع. أحمد عزّت. مرجع سابق. ص ٣٢١-٣٢٣.

(٢) زرزور، مرجع سابق. ص ٧٦-٨٨. نقلاً عن مقالة للاستاذ عبدالرحمن الحاج صالح.مجلة الثقافة الجزائرية. ص ١٧. العدد ٢٦.

(٣) ابن جني. الخصائص. جـ١، ص ٣٤.

(٤) راجح، أحمد عزت. مرجع سابق. ص ٣٢٨.

(٥) المرجع السابق. ص ٣٢٩.

(٦) راپورت، أس.مرجع سابق. ص ٤٥-٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيراً ما يُلاحظ الإنسان أنه وهو يفكر يحدث نفسه، فينقدها أو ينصحها أو يصدر إليها أمراً .. وكثيراً ما يرتفع صوت الإنسان أثناء التفكير حتى يسمعه من يحيط به من الناس، أو يلاحظ الناس حركة يديه وشفتيه وهو يحدث نفسه، وقد دلّت التجارب على أن التفكير غالباً ما يقترن بهذا الكلام الباطن[1].

ومع أن التفكير كثيراً ما يرتبط باللغة، إلا أن اللغة ليست مرادفاً للتفكير، فالتفكير نشاط عقلي أسرع من الكلام وأسبق وأكثر ثراء، وقد يكون التفكير سريعاً بحيث لا تسعفه اللغة، وقد تضيق اللغة أحياناً عن المعاني التي تدور في نفس الإنسان، ويصاب الإنسان بالعجز عن التعبير، كما أن تفكير الأطفال يدور أغلبه في مستوى الإدراك الحسّي والصور الذهنيّة [2].

إلا أن التفكير عند الكبار يرتبط غالباً بالمعاني وما يقابلها من ألفاظ، وهذا يظهر أهميّة اللغة في التفكير، وقد استطاع الباحثون في علم النفس المعرفي التعرّف على كثير من خفايا النشاط العقلي الدّاخلي للإنسان، وصلته الدقيقة باللغة. كذلك استطاعوا بالتعاون مع علماء الحاسبات الإلكترونيّة الحديثة وضع برامج مبسطة لتوضيح بعض الأساليب التي يستخدمها العقل البشري في تصنيف المعلومات، فاتضح مثلاً أن اللغة عند الإنسان ليست وسيلة للتخاطب والاتصال فحسب بل هي في الحقيقة النظام الأساسيّ الذي يستخدمه الإنسان في التفكير »[3].

وتظهر أهميّة اللغة كوسيلة للتفكير إذا نظر إليها باعتبارها رموزاً للمفاهيم، التي هي من أهم مكوّنات التفكير، فالإنسان يفكر من خلال المفاهيم والمعاني الكليّة. وهذا ما جعل الإنسان قادراً على تناول جميع الأشياء في تفكيره بطريقة رمزيّة، فهو يستطيع عن طريق اللغة أن يميّز بين المفاهيم، ويقارن بينها، كما يستطيع اكتشاف العلاقات التي تربطها، والمبادىء والقوانين التي تحكمها، وهذا ما ساعد على سرعة البحث العلمي وتقدّمه[4].

والإنسان يحتاج إلى اللغة في كل عملياته العقليّة، فهو يستخدمها في التخيّل والتذكر، والتفقه، والتدبر، كما يربط خبراته الماضية بحاضره، ويستنتج من كل ذلك ما يجب عليه أن يفعله في مواجهة ما يعترضه من مشكلات، وما التفكير إلا استخدام للرموز من خلال العمليات العقليّة المختلفة[5].

---

(١) راجع، أحمد عزت. مرجع سابق. ص ٣١٩-٣٢٠.

(٢) راجع، أحمد. مرجع سابق. ص ٣٢٩-٣٣٤.

(٣) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٢٦.

(٤) نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. ص ١٤٤.

(٥) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن اللغة هي وسيلة الإنسان في نقل الخبرات الماضية إلى الأجيال اللاحقة، ويضيف الإنسان ما اكتشفه من معلومات جديدة إلى رصيده من المعلومات السابقة ويعيد تنظيم المعلومات وتبويبها، ليصل إلى معلومات جديدة ومفاهيم جديدة. وهذا هو الأساس في كل تقدم علمي وصل إليه الإنسان[1].

وتأثير الفكر في اللغة تأثير متبادل، فالتفكير يطور اللغة ويرقيها لتكون قادرة على استيعاب هذا الفكر المتطور. فالفكر البشري لايقف عند حد وهو يسعى دائماً إلى الكمال، وهو يحتاج في مسيرته إلى لغة سامية تعبر عنه، كما أن اللغة عامل مهم في تنظيم التفكير وتيسيره وتوضيحه[2].

إلا أن بعض الباحثين يرى أن اللغة قد تكون عائقاً أمام التفكير تحجبه وتضلّله، فهناك ألفاظ غامضة ومبهمة، وهناك ألفاظ مثيرة للإنفعال والانحياز، وهي بذلك تقف عائقاً أمام التفكير السّليم، وقد يعرض البعض أفكاراً زائفة، ولكن يعبّر عن ذلك بطريقة بارعة تجعل السامع يعتقد بصحة ما يسمع. كما أن البعض قد تخونه اللغة، وتوقعه في الخطأ، فيقول شيئاً وهو يريد غيره، وأحياناً يعجز عن التعبير عمّا يجول في نفسه.[3]

ويبدو أن مثل هذه الملاحظات لاتُعدُّ عيباً في اللغة بقدر ما هي نقص في المتكلم، فينبغي للإنسان أن يتمهل في كلامه، وأن يختار ألفاظه وتعبيراته وأن ينشيء الكلام إنشاء، ليأتي منسجماً مع غايته، مجلّياً فكرته، معبّراً عنها بأحسن صورة وأدق عبارة.

ويرى بعض العلماء (Whorf) أن اللغة ذات علاقة وثيقة بصور التفكير وطرائقه، ويقولون : «إن خصائص اللغة التي تتحدثها جماعة معيّنة هي التي تحدد وسائل تفكير تلك الجماعة وتصوّرها للواقع الذي تعيش فيه، أي إن هؤلاء العلماء اعتبروا التركيب اللغوي وخصائص اللغة الأخرى عاملاً أساسيّاً في الطريقة التي يتصور بها المجتمع حقائق العالم الذي يعيش فيه»[4].

---

(١) نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. ص ١٢٤.

(٢) حماد، أحمد. مرجع سابق. ص ٣١.

(٣) راجح. أحمد عزت. مرجع سابق. ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٤) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما يدفع إلى التأمّل في خصائص اللغة العربيّة، ولماذا اختارها الله -سبحانه- لتكون لغة القرآن؟ وما الحكمة من حفظ الله تعالى لهذه اللغة؟ وذلك بحفظه تعالى للذكر الحكيم، فلا تذهب جدّتها، ولتبقى هي الوعاء الذي يحفظ ويبلور فكر الأمة، فيحفظ للأمة تميّزها وتفرّدها.

لغة القرآن :

لقد تكرر وصف القرآن بأنّه عربي، وأنه نزل بلسان عربي مبين، من ذلك قوله تعالى : ﴿**إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون**﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿**كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون**﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿**وإنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾»[3]، ولاشك أن في ذلك إشارة إلى فضل اللسان العربي، إذ جعله الله -عز وجل- لغة وحيه، وأداته في نقل مراده إلى البشر، كما أن في ذلك دعوة إلى تعلّم العربيّة وفهمها.

ولاشك أن للغة العربيّة من المزايا والخصائص ما جعلها مؤهلة لأن تكون لغة الوحي، لأعظم رسالة أنزلها الله إلى البشر، فاللغة العربيّة «أوسع اللغات مدى، وأغزرهن مادّة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقيّة من معنى اللغة، لكثرة أبنيتها، وتعدّد صيغها ومرونتها على الاشتقاق، وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللغات بجملتها، مع أنها أقل هذه اللغات أوضاعاً، حتى أن المستعمل منها لايتجاوز ستة آلاف تركيب»[4].

وقد نقل السيوطي عن ابن قتيبة في فضل العربيّة وما اختصت به من المزايا ما يحسن نقله هنا : إذ يقول : «وألفاظ العرب مبنيّة على ثمانية وعشرين حرفاً - ولست واجداً في شيءٍ من كلامهم حرفاً ليس في حروفنا إلا معدولاً مخرجه، مثل الحرف المتوسط مخرجي القاف والكاف، والحرف المتوسط مخرجي الباء والفاء. فهذه حال العرب في مباني ألفاظها، ولها الإعراب الذي جعله الله وسيلة لكلامها وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يفرّق بينهما إذا تساوت حالاتهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب، ولو أن قائلاً قال : هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر : هذا قاتل أخي بالإضافة، لدلّ التنوين على أنّه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قتله»[5].

---

(١) سورة يوسف : آية ٢.

(٢) سورة فصلت : آية ٣.

(٣) سورة الشعراء : الآيات ١٩٢-١٩٥.

(٤) الرافعي، مصطفى. تاريخ آداب العرب. جـ١. ص ١٧١.

(٥) السيوطي، جلال الدين. صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام. ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومأخذه، فمنها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقويم والتأخير، والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار، والتعريف والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص المعنى العام، وبلفظ العموم المعنى الخاص ..، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن»[1].

والحديث عن خصائص العربيّة ومزاياها، قد ألفت فيه أسفار، وأفاض في الحديث عنه أعلام العربيّة وفرسان البيان، ولعلّ في ما قاله العالم الغربي (آرنست رينان) عن هذه اللغة شهادة لها بالسبق على غيرها من اللغات، فهو يقول : «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القويّة، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري وعند أمّة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، ولقد كانت هذه اللغة مجهولة بين الأمم، ولكنها من يوم عرفت ظهرت لنا في حلل الكمال، وإلى درجة أنها لم تتغير أي تغيّر يذكر، حتى أنها لم تعرف لها في أطوار حياتها، لا طفولة ولا شيخوخة، ولانكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لاتبارى، ولانعلم شبهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرّج، وبقيت حافظة لكيانها، خالصة من كل شائبة، لقد استفاض انتشار اللغة العربيّة فاستولت على أوسع المسافات وأبعد البلدان»[2].

وإذا كانت اللغة العربيّة بهذه المكانة، فإن القرآن منها بمنزلة القلب من الجسد، فهو الذي بلغت به اللغة العربيّة القمّة السامقة، فتطاولت على جميع لغات أهل الأرض، وامتنعت على تطاول الأيام من أن ينالها الوهن، أو أن يصيبها الهرم.

ولاشك أن أسلوب القرآن في البيان، في غاية الفصاحة والبلاغة، فقد أدهشت فصاحته البلغاء والشعراء والخطباء، فقالوا عنه مرّة إنّه سحر، ومرة قالوا إنه شعر، وثالثة قالوا كهانة، ورابعة قالوا أساطير الأولين. ولمّا همّ بعض السفهاء بمعارضته، جاءوا بسخف من القول ممجوج.

وإذا كانت اللغة رموزاً للدلالة على المعاني الموجودة في ذهن المتكلم، فإن القرآن الكريم قد بلغ حد الكمال في التعبير عن مراد الله تعالى، سواء في الألفاظ أو النظم، وقد بحث علماؤنا - في إعجاز القرآن الكريم وجوانب هذا الإعجاز ومظاهره، وقد بين الإمام الخطابي سر الاعجاز بقوله : «وإنما يقوم الكلامُ بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ الحامل ومعنى به قائم، ورباطٌ لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن

---

(١) المرجع السابق. ص ٢٧-٢٨.

(٢) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومأخذه، فمنها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقويم والتأخير، والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار، والتعريف والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص المعنى العام، وبلفظ العموم المعنى الخاص ..، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن»[1].

والحديث عن خصائص العربيّة ومزاياها، قد ألفت فيه أسفار، وأفاض في الحديث عنه أعلام العربيّة وفرسان البيان، ولعلّ في ما قاله العالم الغربي (أرنست رينان) عن هذه اللغة شهادة لها بالسبق على غيرها من اللغات، فهو يقول : «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القويّة، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري وعند أمّة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، ولقد كانت هذه اللغة مجهولة بين الأمم، ولكنها من يوم عرفت ظهرت لنا في حلل الكمال، وإلى درجة أنها لم تتغير أي تغيّر يذكر، حتى أنها لم تعرف لها في أطوار حياتها، لا طفولة ولا شيخوخة، ولانكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لاتبارى، ولانعلم شبهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرّج، وبقيت حافظة لكيانها، خالصة من كل شائبة، لقد استفاض انتشار اللغة العربيّة فاستولت على أوسع المسافات وأبعد البلدان»[2].

وإذا كانت اللغة العربيّة بهذه المكانة، فإن القرآن منها بمنزلة القلب من الجسد، فهو الذي بلغت به اللغة العربيّة القمّة السامقة، فتطاولت على جميع لغات أهل الأرض، وامتنعت على تطاول الأيام من أن ينالها الوهن، أو أن يصيبها الهرم.

ولاشك أن أسلوب القرآن في البيان، مما أعجز البلغاء، ووقف دون إدراك سموّه أصحاب الألسنة الحداد، فتحيّروا فيه وهم البلغاء والشعراء والخطباء، فقالوا عنه مرّة إنّه سحر، ومرة قالوا إنه شعر، وثالثة قالوا كهانة، ورابعة قالوا أساطير الأولين. ولمّا همّ بعض السفهاء بمعارضته، جاءوا بسخف من القول ممجوج.

وإذا كانت اللغة رموزاً للدلالة على المعاني الموجودة في ذهن المتكلم، فإن القرآن الكريم قد بلغ حد الكمال في التعبير عن مراد الله تعالى، سواء في الألفاظ أو النظم، وقد بحث علماؤنا - في إعجاز القرآن الكريم وجوانب هذا الإعجاز ومظاهره، فمنهم من قال إن سرّ إعجاز القرآن إنما هو في ألفاظه، حتى أنك لو حاولت أن تنزع كلمة من موضعها لتضع غيرها محلّها، لاختلّ بناء القرآن، ومن هؤلاء الإمام الخطابي الذي يقول :«اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمّع لها هذه

---

(١) المرجع السابق. ص ٢٧-٢٨.

(٢) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة»[1] ويبين الخطابي أن عمود هذه البلاغة هو الألفاظ فيقول : «اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمّع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره، جاء منه إمّا تبدّل المعنى الذي يكون معه فساد الكلام، وإما ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني. ويحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة مراد الخطاب»[2].

أما الجرجاني فيؤكد أن الإعجاز إنما هو في النظم والتأليف، وهو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم ، فالفصاحةُ لاتظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، وذلك بتوخي معنى من معانٍ النحو فيما بين الكلمات، فيلتقى النظم المحكم مع الألفاظ المختارة، والمعاني السليمة التي لم يكن للناس عهدٌ بها من قبل، فيكون من ذلك كله الإعجاز الذي يحير البلغاء.[3]

وبما أن اللغة هي أداة لنقل الفكر من المتكلم إلى السامع، فإن الألفاظ والتراكيب جميعها تسهم في تصوير المعنى ونقل الفكرة، وكلما دقّق المتكلم في ألفاظه واختارها لتعبّر بدقة عن مراده، وساق هذه الألفاظ في سياق من الكلام المترابط المؤدي للمعنى المراد على أحسن وجه، كلما كان ذلك أوضح في الدلالة على المراد دون لبس أو غموض.

ولاريب أن ألفاظ القرآن قد بلغت غاية الدّقة في الدّلالة على المراد، وأن كل لفظ في القرآن الكريم له معناه ودلالته الخاصة التي لايقوم غيره من الألفاظ مقامه في الدّلالة على المراد.

وفيما يلي عرض لبعض ألفاظ القرآن ودلالتها في موضعها الذي ودرت فيه، وذلك على سبيل التمثيل، فمن ذلك الخشية والخوف في قوله تعالى :﴿ **ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب**﴾[4]، فقد يقول قائل إن الخشية بمعنى الخوف، إلا «أن الخشية أعلى مرتبة من الخوف، فإنها مأخوذة من قولهم (شجرة خشيّة) إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكليّة، والخوف من قولهم (ناقة خوفاء) إذ كان بها داء، وذلك نقص وليس بفوات. ومن ثمّ خصت الخشية بالله -سبحانه-»[5].

---

(١) الخطابي، أبو سليمان. بيان اعجاز القرآن. ص ٢٤.

(٢) الخطابي.بيان اعجاز القرآن، ص ٢٦.

(٣) الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز. ص ٣٠٠ وما بعدها.

(٤) سورة الرّعد : آية ٢١.

(٥) الزملكاني، كمال الدين. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل ذلك الإكمال والإتمام في قوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[1]، فإنهما مختلفان معنى، «(فالإتمام) لإزالة نقصان الأصل، و (الإكمال) لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل». ومن ثمّ كان قوله تعالى : ﴿**تلك عشرة كاملة**﴾[2]، أحسن من «تلك عشرة تامّة» إذ التمام في العدد قد علم، وإنما بقي احتمال نقص في صفاتها»[3].

ومن ذلك قوله تعالى :﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث...**﴾[4]، فإن المتأمل في ألفاظ هذه الآيات يجد أنها في غاية الإحكام، فكلمة (انسلخ) مأخوذة من السلخ وهو نزع جلد الحيوان، واستعمال هذه الكلمة هنا يدلّ على أن الآيات قد أحاطت بهذا المنتكس، ولصقت بنفسه كما يلتصق الإهاب بلحم الحيوان، ولكنّه انسلخ منها، إشارة إلى أن ذلك إنّما تمّ بعنف لأنه ضدّ الفطرة وضد دواعي الإيمان[5]، وتأمّل قوله تعالى : ﴿**أخلد إلى الأرض**﴾ والمعنى أنه ركن إليها، ظاناً أنّه بذلك يبقى خالداً مستمراً على هذه الأرض، فرضي بالاستفال بدل الارتفاع، وبالضعة بدل الكرامة[6].

وللتنبيه على ضرورة اختيار اللفظ، وملاحظة ما بين الألفاظ من فروق، فإن القرآن الكريم قد دعا إلى استخدام اللفظ المناسب، في قوله تعالى : ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ...**﴾»[7] فإن اللفظتين مختلفتان في دلالتهما. ولقد نهى الله -عز وجل- المسلمين عن استخدام كلمة (راعنا) في مخاطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم)، وذلك لما لها من دلالة مذمومة، وارشدهم إلى استخدام اللفظ الأليق برسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال سبحانه : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم**﴾»[8]، وهذا فيه تحريض القرآن للمسلمين على أن يختاروا الألفاظ المناسبة للمعنى المراد تأديته .

---

(١) سورة المائدة : آية ٣.
(٢) سورة البقرة : آية ١٩٤.
(٣) الزملكاني، كمال الدين. مرجع سابق. ص ٩١-٩٢.
(٤) سورة الأعراف : الآيات ١٧٥-١٧٦.
(٥) أبوزهرة، محمد. مرجع سابق. ص ١١٤-١١٦.
(٦) المرجع السابق. نفس الصفحات.
(٧) سورة الحجرات : آية ١٤.
(٨) سورة البقرة : آية ١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ما يتعلق بنظم القرآن، فقد جاء في أحسن نظوم التأليف، وقد اختيرت كلمات الجملة القرآنية، «ثمّ نسّقف في سلك من النظام، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق، ودقة ترتيب، وإحكام في تلاؤم، واقرأ قوله تعالى :﴿**ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾[1]، تر آيات قد التحم نسجها، وارتبط بناء بعضها ببعض، تسلم الجُملة إلى أختها، في التئام واتساق »[2].

ويتبين مما تقدم أن ألفاظ القرآن في غاية الدقة والإحكام، وأن جمله قد نظمت في أحسن صورة وأبدع نظام، ولعل في ذلك دعوة لكل مسلم أن يتعلم العربيّة، ويتقن فنونها، وأن يدقق في عباراته، فإن كلّ كلمة ينطق بها يجب أن يكون لها معناها الواضح المحدد الذي لا يلتبس بغيره .

وإن من أهم شروط التفكير السليم أن يملك الفرد عدداً كبيراً من المعاني الواضحة، وأن يستطيع التعبير عنها بألفاظ محدّدة وعبارات جليّة. فإن لتحديد معاني الألفاظ وبيان دلالتها فائدة كبيرة، إذ أن كثيراً من الخلاف والجدال الذي يثور حول الموضوعات الفكريّة، يعود إلى خطأ في الفهم وغلط في تحديد الألفاظ، أو إلى غموض هذه الألفاظ والمصطلحات وتعقيدها، فمعرفة معاني الألفاظ لا يستغنى عنه للتفكير السليم وللحكم الصحيح[3].

ومن الأمور ذات الصلة الوثيقة بالتفكير في لغة القرآن الكريم، ذلك الأسلوب القرآني الفريد في تصوير المعاني والأحداث والمشاعر والأحاسيس، فإذا كانت الصور الذهنيّة لاتتشكل لدى الإنسان إلا من خلال الحسّ، فإن القرآن الكريم يصور الأفكار والمواقف والأحداث كأنّما هي مشاهدة محسوسة. يقول سيد قطب واصفاً هذا الأسلوب القرآني : «التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشريّة. ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجدّدة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسيّة لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشريّة مجسّمة مرئية »[4].

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٢-٥.

(٢) بدوي، أحمد. مرجع سابق. ص ١٠٦.

(٣) راپورت، أ.س. مرجع سابق. ص ٤٦.

(٤) قطب، سيّد. التصوير الفني في القرآن. ص ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة على هذا الأسلوب القرآني التصويري[1]، من ذلك قوله تعالى: ﴿**إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط**﴾[2].

فيصوّر الله -عز وجل- استحالة دخول الكافرين الجنّة، بصورة محسوسة متخيّلة، تلك هي استحالة دخول الحبل الغليظ في سمّ الخياط.

ويرسم القرآن صورة حسيّة لضعف الآلهة والأولياء الذين عبدهم المشركون من دون الله، فيصور لجوء المشركين إليهم، كالعنكبوت تبني بيتاً ثمّ تلجأ إليه وهو أهون وأضعف من أن يحميها، ولا يغفل عن إدراك هذه الحقيقة إلا جاهل أو عاجز.

ويصور القرآن الكريم هزيمة المسلمين في أحد، فكأنما المشهد صورة حيّة منظورة بكل أبعادها، يقول تعالى: ﴿**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبّون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرّسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم لكي لاتحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون**﴾[3].

وتعرض الآيات التالية مشهداً من قصة الطوفان ينبض بالحركة والصور الحيّة وكأن المشهد رأي عين، يقول تعالى: ﴿**وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بنيّ اركب معنا ولاتكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**﴾[4]، «وإن السامع ليمسك أنفاسه في هذه اللحظات القصار، «وهي تجري بهم في موج كالجبال» ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة القوّية العاتية، تحسم الموقف في لحظة سريعة خاطفة، وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحيّة - بين الوالد والمولود - كما يقاس بمداه في الطبيعة - حيث يطغى الموج على الذرى والوديان، وإنهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامتة وفي نفس الإنسان».

وهذا الأسلوب القرآني في تصوير المواقف والأحداث والأحاسيس، يتضمن الصدق المطلق في الوصف، كما يتضمن الدّقة البالغة في تصوير المشاهد بأبعادها

(١) راجع: قطب، سيّد. التصوير الفني في القرآن. ص ٣٤، وما بعدها.
(٢) سورة الأعراف: آية ٤٠.
(٣) سورة آل عمران: الآيات ١٥٢-١٥٣.
(٤) سورة هود: الآيات ٤٢-٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفسيّة والاجتماعية والكونيّة، مما يؤكد ضرورة أن يراعي الفرد هذه الدّقة عند حديثة عن فكرة ما أو وصفه لظاهرة أو حدث معين، فالقرآن الكريم يرسم للمسلم منهجاً متكاملاً في التفكير، واللغة هي إحدى أهم أدواته.

وإذا كانت اللغة هي الرموز التي يفرغ بها المتكلم المعاني والأفكار، فإن السّامع قد يدرك مراد المتكلم وقد لايدركه، وذلك منوط بقدرته على فهم دلالات الخطاب، ولذا فإن (علم الدّلالة) يُعد من أهم الدراسات اللغويّة، وقد زعم بعض الباحثين[1] أن هذا العلم قد ظهر حديثاً على أيدي بعض العلماء الغربيين، وهذا غير صحيح، فإن علماء أصول الفقه قد أولوا هذا العلم عناية فائقة، وقاموا باستقراء أساليب العربيّة وعباراتها ومفرداتها، ووضعوا القواعد والضوابط التي يتوصل بمراعاتها إلى فهم النصوص فهماً صحيحاً، وكانوا بذلك السّابقين إلى وضع قواعد هذا العلم.

وأخيراً فإن من أعظم النعم التي منّ الله بها على الإنسان هي نعمة تعلّم اللغة، فهي أهم وسيلة من وسائل التفكير، إذ إن المعاني والأفكار تبقى حبيسة في الذهن حتى يعبر عنها بلغة من اللغات، فاللغة إذاً هي وسيلة الإنسان لإبراز الفكر إلى حيز التصريح، مما يسهل نقل الأفكار والمفاهيم وتوارثها، وهذا من أهم الأمور التي ساعدت الإنسان على تحقيق ما حقّقه من تقدم في اكتساب المعرفة وتحصيل العلوم والصناعات.

ولاشك أن القرآن قد جاء معبّراً عن دعوة الإسلام وأفكاره ومفاهيمه في أوضح صورة وأسمى بيان، وحظيت اللغة العربيّة بسبب ذلك بعناية فائقة، في تأصيل قواعدها والتعريف بأساليبها، واستقصاء مفرداتها وتراكيبها، مما مكن لها من النمو والازدهار على مرّ الأيام، وحفظها من الاندثار والفناء. وحريّ بالمعلمين والمتعلمين أن يقبلوا على دراستها وفهم أساليبها، وكلّما أتقن الإنسان اللغة كان ذلك أكبر عون له على التفكير.

---

(١) حماد، أحمد. مرجع سابق، ص ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

تنمية التفكير

المبحث الأول : تحرير التفكير من العوائق

المبحث الثاني : قواعد منهجيّة في تنمية التفكير

المبحث الثالث: أصول مناهج البحث في القرآن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

تنمية التفكير

يولد الطفل مزوداً بقدرات وأدوات تساعده على التعلّم، وتمكّنه من الإدراك والمعرفة، لكنه في طفولته يكون عاجزاً عن التفكير الناضج والاستدلال الصائب،كما أنه غير قادر على التعبير عن أفكاره، لكن تفكيره ينمو بزيادة وضوح المعاني والمفاهيم في ذهنه، وبزيادة ثروته اللغويّة، وباكتسابه مهارات الاستدلال والنقد، وتنمو هذه القدرات بحسب نوع التربية التي يتلقاها.

والتفكير- كمهارة يمكن تنميتها - تحتاج إلى توجيه ورعاية وتدريب، ولذا فإن إهمال هذه القدرات، سيؤدي إلى ضعفها ومن ثم عجز الإنسان عن أن يكون فاعلاً مؤثراً في بيئته، وتتوقف درجة نموّ هذه القدرات على نوع التربية التي يتلقاها الفرد، ووعي القائمين على التربية وخبرتهم، والوسائل المتبعة في تنمية هذه القدرات، والبيئة الإجتماعية والثقافيّة التي تعمل التربية من خلالها[1].

وقد احتل التفكير والنظر في كتاب الله -عز وجل- مساحة واسعة، لما له من أثر في حياة الإنسان الدنيويّة والأخرويّة، فإن مدار الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة على مدى استخدام الإنسان لعقله، وتبصّره في غاية وجوده، واستخدامه لقدراته العقليّة فيما ينفعه في دينه ودنياه، فقد رتب الله -عز وجل- سوء عاقبة المكذبين على تعطيلهم حواسهم وعقولهم، قال تعالى : **﴿وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾**[2].

والقرآن الكريم اشتمل على توجيهات وإشارات ذات دلالة في مجال تنمية هذه القدرات العقليّة، هذه التوجيهات كما يظهر للباحث يمكن أن توضع تحت ثلاثة عناوين فرعية:

---

(١) الكيلاني، ماجد. مقوّمات الشخصيّة المسلمة. ص ٥١.

(٢) سورة الملك : آية ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول : تحرير التفكير من العوائق والقيود، لينطلق الإنسان في تفكيره دون قيود أو موانع تحدّ من انطلاقه في المجال الذي هيئ له.

والثاني : تقرير قواعد منهجية في تنمية التفكير، يمكن بمراعاتها أثناء الممارسة أن تنمو هذه القدرات وتترسخ.

والثالث : إرساء أصول المبادىء المنهجيّة في البحث والتي يمكن الاستناد إليها عند التفكير في أي مجال من مجالات المعرفة، وسيتم استعراض هذه المباحث الثلاث في هذا الفصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

تحريـــر التفكيـــر مـــن العوائـــق

العوائق التي تعيق التفكير كثيرة، أشار القرآن إلى كثير منها، ودعا إلى تجنبها، وحذّر منها أشدّ التحذير، وبين أن سبب هلاك كثير من الناس ومجانبتهم طريق الصواب هو استحواذ هذه القيود على عقولهم، فلم يعودوا معها قادرين على استبانة الحق، فهي بمثابة الحجب التي تحول بين الإنسان وبين رؤية الأشياء على حقيقتها، بل إن الأمور تنقلب في ذهن المحجوب فيصبح الحق باطلاً والباطل حقاً.

وقد ذكر العقاد أن القرآن قد استقصى هذه العوائق التي تعطل التفكير، وهي كثيرة، لكنّه يرى أنها «تتجمع في ثلاثة موانع كبرى بمثابة الأصول التي تتشعب منها الموانع المختلفة، فمن سلِم منها أوشك أن يسلم من كل مانع يحجر على عقله، ويأخذ السبيل على تفكيره فلا يهتدي إلى رأي سواه. أكبر الموانع في سبيل العقل عبادة السّلف التي تسمّى بالعرف، والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينيّة، والخوف المهين لأصحاب السلطة الدنيويّة»[1]، والقرآن الكريم يشير إلى عوائق كثيرة، فيما يلي عرض لهذه العوائق وموقف القرآن منها.

أولا : التقليد

التقليد في اللغة هو جعل القلادة في العنق، ومنه تقليد الولاة وهو جعل الولايات قلائد في أعناقهم، ومنه تقليد البدنة وهو أن يعلّق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي...[2].

والتقليد في اصطلاح الأصولين قبول قول بلا حجّة، فهو أخذ برأي الغير دون أن يتبين المقلّد دليل من قلّده ، وليس ذلك طريقا للعلم لا في الأصـــول ولا فـــي الفروع، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الفرق الذين لا يعتدّ بخلافهم[3].

---

(١) العقاد، عباد محمود. التفكير فريضة إسلاميّة. ص ١٧.

(٢) الرازي، ومختار الصحاح. ص ٥٤٨.

(٣) الغزالي، أبو حامد.المستصفي في علم الأصول. جـ٢. ص ٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذهب العلماء إلى بطلان التقليد سواء في أمور الدين أو الدنيا، واستدلوا على ذلك بأدلة نقليّة وعقليّة، فمن الأدلّة النقليّة الآيات التي تلوم الكافرين وتذمهم لتقليدهم آباءهم دون دليل مثل قوله تعالى : ﴿**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون**﴾[1]، وقوله تعالى :﴿**وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾[2]، وهذه الآيات وإن كانت قد نزلت في حق الكفار فإن ذلك لايمنع من الاحتجاج بها، «لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر. وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد، كما لو قلّد رجلاً فكفر وقلّد آخر فأذنب، وقلّد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوماً على التقليد بغير حجّة. لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً، وإن اختلفت الآثام فيه...»[3].

ومن الآيات الدّالة على بطلان التقليد كذلك، قوله تعالى : ﴿**وما شهدنا إلا بما علمنا**﴾»[4]، والتقليد شهادة بغير علم وذلك زور وبهتان، وقوله تعالى : ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾[5]، فإن أي مذهب أو رأي لابرهان عليه فهو باطل قال الزمخشري :«وهذا أهدم شيء لمذهب المقلّدين وأن كل قول لادليل عليه فهو باطل غير ثابت»[6].

وقد أورد الإمام الغزالي عدّة أدلّة على بطلان التقليد منها[7] :

أولاً : أن صدق المقلّد لايعلم ضرورة فلابدّ من دليل، فإذا لم يقم دليل على صدقه من نصٍّ أو إجماع، فإن تقليده اتباع على جهل.

ثانياً : أن المقلّد إما أن يكون الخطأ في حقّه جائزاً أو محالاً، فإن كان جائزاً فإنّ مذهبه مشكوك في صحته، وإن قال قائل بأنه محال فَبِمَ عرف استحالته؛ بضرورة أم بنظر أم بتقليد، وحيث أنه لاضرورة ولادليل على استحالة خطأ من يُقلّد من المجتهدين، فإنّ التقليد باطل لأنّه تحكم بلا بيّنة.

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٠.
(٢) سورة الزخرف : آية ٢٣.
(٣) الشنقيطي، القول السديد في كشف حقيقة التقليد، ص ٧-٨.
(٤) سورة يوسف : آية ٨١.
(٥) سورة البقرة : آية ١١١.
(٦) الزمخشري. الكشاف. مج١. ص ٣٠٥.
(٧) راجع : الغزالي. المستصفى في علم الأصول.جـ٢. ص ٣٨٧-٣٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: إذا كانت المعرفة واجبة فإن التقليد جهل وضلال؛ لأن المعرفة لاتحصل إلا بالنظر والاستدلال فمن ترك النظر ورضي بالتقليد طلباً للسلامة وخوفاً من الوقوع في الخطأ فإن خطأ المقلدين وضلالهم أكثر بكثير من خطأ المجتهدين.

وقد يظن ظان أن الأخذ بالكتاب والسّنة وأقوال السّلف من التقليد المذموم، وليس الأمر كذلك، إذ إن اتباع الكتاب والسنة والسلف اتباع على بيّنة، وللمتبع عليه دليل وبرهان، وله في اتباع السلف من المؤمنين الصادقين دليل، فهو ليس مقلداً، أليس الله سبحانه قد أثنى على يوسف -عليه السلام- بقوله :﴿**واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون**﴾[1]، والتقليد كما مرّ قبول قول بلا حجّة، فمن أخذ بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- بعد نظر وتفكر فليس بمقلّد[2].

والتقليد في أمور الدين استثناء لا يلجأ إليه إلا في حال الضرورة وذلك لمن عجز عن الاجتهاد ولايستطيعه، أما المستطيع فالواجب في حقه الاجتهاد والنظر، «ولكن الفرق في الاستطاعة لايجعل العجز عن الفريضة واجباً محتوماً يلتزمه العاجز ولايعمل على الخلاص منه كلما استطاع. إذ الفرق ظاهر بين الواجب الذي لايستطاع والحرام المنهي عنه. فلا إيجاب للتقليد ولاتحريم للاجتهاد بالفكر، وشر الناس في الإسلام من حرّم على خلق الله أن يفكروا ويتدبروا بعد أن أمرهم الله بالتفكير والتدبر وأنبأهم بعاقبة الذين لايفكرن ولايتدبرون، ومثله شراً من يحرّم الاجتهاد على الناس جميعاً لأنه قضى على خلق الله إلى آخر الزمان بالحرمان من نعمة العقل والعلم والصلاح ...»[3].

والتقليد قد يكون للآباء والأجداد، وذلك بالخضوع لسلطان العادات والأعراف التي يتوارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم. والقرآن الكريم حارب هذا النوع من التقليد إلا أن يقوم عليه دليل غير كونه مما توارثه الناس عن آبائهم، ولعلّ تسفيه أحلام الآباء والأجداد كان من أكثر ما يثير أهل الجاهلية، ويبعث فيهم الحنق والغضب، فكثيراً ما كانوا يستثيرون الناس ويحرضونهم على الدّعوة الجديدة بقولهم إنّه يسفّه أحلام الآباء ويستخف بعقول الأسلاف ويصفهم بأنهم لايعقلون[4].

---

(١) سورة يوسف : آية ٣٨.

(٢) انظر : القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج١. جـ٢. ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) العقاد. التفكير فريضة إسلامية. ص ٩٦-٩٧.

(٤) نفس المرجع السابق. ص ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون التقليد استجابة لعامّة الناس، ونزولاً عند رأي الأغلبيّة منهم، وخشية الإنفراد برأي أو موقف لايرضاه النّاس، ولذا فقد جاءت دعوة القرآن للمشركين بالتفكر مثنى وفرادى في قوله تعالى : ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة إن هو إلانذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾[1]، «والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع ممّا يشوّش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الرويّة ويخلط القول، ومع ذلك يقلّ الإنصاف ويكثر الإعتساف ويثور عجاج التعصب ولايسمع إلا نصرة المذهب»[2].

وقد يكون التقليد لأصحاب الرّياسات الدينيّة والدنيويّة، وخطر الخديعة من رؤساء الديانات أشدّ من خطر الحكم المستبّد، وذلك أن «الحكم المستبدّ يتسلط على الضمير من خارجه ولايستهويه من باطنه كما يستهويه حبّ السلف أو الاسترسال مع القدوة الخادعة من قبل رؤساء الدّين. فهي مشكلة مكان لامشكلة عقل أو ضمير، إمّا أن ينفضه الإنسان عنه في مكان أو يلوذ به منه بمكان أمين، وكثيراً ما يكون الحكم المستبدّ حافزاً للضمير إلى المقاومة محرّضاً للعقل على الرّفض والإنكار»[3].

ولاشك أن الإنسان أميل إلى ما ألفه وعرفه من عادات ومعتقدات ومفاهيم، وربما أكسب هذه الأفكار والمعتقدات قداسة، فيأخذ يبحث عن أدلة وبراهين لتأييدها وبيان صدقها، مما يؤدي إلى جمود التفكير، ورفض الإنسان لكل فكرة جديدة، ولايحاول حتى أن يفهم هذه الفكرة الجديدة أو أن يتبين وجه الصواب فيها، ويصبح تخليه عن أفكاره القديمة أمراً في غاية الصعوبة. وإذا انتشر التقليد وتمسّك النّاس بما ألفوه فإن الجمود والتخلف سيكون هو الثمرة الطبيعيّة لمثل هذا السلوك.

ثانيا : اتباع الهوى

الهوى في اللغة من الهواء وهو ما بين السماء والأرض، وكلّ خالٍ (هواء) قال تعالى : ﴿**وأفئدتهم هواء**﴾[4]، يقال : إنه لاعقول لهم. والهوى هوى النفس، وهوي : أحبّ، وهوى يهوي : سقط إلى أسفل، واستهواه الشيطان استهامه[5].

---

(١) سورة سبأ : آية ٤٦.
(٢) الزمخشري. الكشّاف. ج٣. ص ٢٩٤.
(٣) العقاد. التفكير فريضة إسلامية. ص ٢٣.
(٤) سورة إبراهيم : آية ٤٣.
(٥) الرازي. مختار الصحاح. ص ٧٠٢-٧٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصل الهوى الميل إلى الشيء، وسمّي هوى لأنّه يهوي بصاحبه إلى النار، ولذلك لايستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق وفيما لاخير فيه[1]، ولا يستعمل في القرآن إلا في هذا المعنى الذي هو إعراض عن الحق وميل إلى الباطل.

وقد تكرر لفظ (هوى) وما اشتق منه في القرآن في نحو سبع وثلاثين موضعاً، وقد ورد الهوى في جميع هذه المواضع في معرض الذم، وأن اتباع الهوى من صفات غير المؤمنين. وأن إعراض الكافرين وتكذيبهم لرسل الله – عز وجل–، إنما هو نتيجة لاتباعهم أهواءهم، قال تعالى : ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون**﴾[2]، «والتعبير عنه بذلك للإيذان بأن مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لأهواء أنفسهم والموافقة لها لاشيء آخر»[3].

وقد يتحكم الهوى في الإنسان بحيث لايستطيع منه فكاكاً، ويملك عليه عقله وقلبه فلايعود يبصر إلا ما يهوى، ولا يستجيب إلا لما يحقق رغباته الماديّة، والقرآن يصوّر استحكام الهوى في عقل الإنسان بحيث يصبح إلهاً يعبد من دون الله، يقول تعالى : ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون**﴾[4]، «قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه وقال عكرمة : «أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه أو يستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهويه اتخذه إلهاً. وقيل المعنى : أفرأيت من ينقاد لهواه ومعبوده : تعجيباً لذوي العقول من هذا الجهل»[5].

والقرآن يجعل الهوى في مقابل العلم، فإن الهوى والعلم ضدان لايجتمعان، فإمّا أن يكون الإنسان على علم وبيّنة فيما يعتقد، وإما أن يكون متبعاً لهواه، قال تعالى :﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولانصير**﴾[6]، قال أبوالسعود : «ولئن اتبعت أهواءهم، أي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضيـــة

---

(١) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج١. جـ٢. ص ١٩.
(٢) سورة البقرة : آية ٨٧.
(٣) أبوالسعود. تفسير أبي السعود. مج١. جـ١. ص ١٢٧.
(٤) سورة الجاثية : آية ٢٣.
(٥) القرطبي. الجامع لأحكام القران. مج٨. جـ١٦. ص ١١١.
(٦) سورة البقرة : آية ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شهوات أنفسهم»[1]. كما أن الهوى والظن متلازمان، قال تعالى : ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾[2].

ولاشك أن لاتباع الأهواء آثاراً جسيمة على التفكير، فإنّ اندفاع الإنسان وراء انفعالاته يجعل الإنسان يقع في أخطاء التحيّز.

وكثيراً ما يحمل الناس أفكاراً ومبادىء يدافعون عنها بقوة، حتى يخيّل للمرء أنهم في دفاعهم عن هذه الأفكار إنما يصدرون عن قناعات راسخة، ثم يظهر أن دافعهم ليس هو الاستدلال السليم ولا التفكير السوى، وإنما هي الأهواء والمصالح، فينقلب الحق عند هؤلاء باطلاً والباطل حقاً، ويبذلون جهدهم في البحث عن أدلة تؤيد مذهبهم وتؤكد فكرتهم، ومن أوضح الأمثلة على ذلك الصراع الذي دار بين الكنيسة ورجال العلم في أوروبا، لأن منهج العلماء في البحث كان يهدد نفوذ الكنيسة وسيطرتها ومكاسبها الماديّة والمعنويّة، فعارض رجال الكنيسة المنهج العلمي ووقفوا من العلماء واكتشافاتهم موقف العداء، ليس لأنها باطلة، ولكن محاولة منهم للحفاظ على مكاسبهم الدنيويّة[3].

كما أن الأهواء والمصالح تتدخل في نوعيّة البحوث التي تجرى، فما كان منها ذا فائدة ماديّة أو معنويّة عاجلة، أقبل عليه الباحثون، وما كان ذا نفع إنسانيّ ويحتاج إلى جهد ووقت، أو كان لايرضي أصحاب السلطة أو المصلحة فإن الباحثين يعرضون عنه، حتى إن الكثير من الباحثين «يكتب مالايقول، ويقول مالايعتقد، ويعتقد مالا يقول وما لا يكتب. وهذه الحيدة الإراديّة عن الحق الذي يعتقده غالباً ما تكون بدافع إيثار الدنيا وطغيان الهوى»[4].

والهوى مناقض للموضوعية التي هي من أهم مبادىء البحث، وهي تقتضي أن يبحث الموضوع بحثاً سليماً بعيداً عن الأهواء، وقد عرّفها بعض الباحثين بأنها : «معيار أساسي من معايير البحث يقوم على الصدق والعلم والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصيّة، ويهدف إلى وصف الظاهرة أو الموضوع وصفاً يعتمد على معطيات الواقع لا على متطلبات المثال المرتجى»[5].

---

(١) أبوالسعود. تفسير أبي السعود. مج١. جـ١. ص ١٥٣.

(٢) سورة النجم : آية ٢٣.

(٣) دسوقي. فاروق. الإسلام والعلم التجريبي. ص ١٥٧.

(٤) نفس المرجع السابق .ص ١٥٨.

(٥) صالح، عبدالرحمن. الموضوعيّة في العلوم التربوية. ص٤٤. (المنهجية الإسلاميّة والعلوم السلوكية. المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الرّغبات والعواطف كثيراً ما توجه الآراء والأفكار، وتدفع إلى تأويل الحقائق تأويلاً يوافق هذه الرّغبات، وهذا ما يسمّى بالتفكير الرغائبي وهو الذي توجهه الرّغبات لا الوقائع والحقائق[1].

ثالثا : الكبر وغمط الحق

الكِبْر العظمة، والتكبّر والاستكبار التعظم[2]، والكبر إعجاب المرء بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره، والاستكبار يقال على وجهين، أحدهما : أن يطلب الإنسان أن يكون كبيراً وإذا كان ذلك في المكان والوقت المناسب فلايكره، والثاني : أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم وكل ما ورد في القرآن فعلى هذا المعنى[3].

وقد تكرر لفظ الكبر والاستكبار والتكبّر في القرآن الكريم في نحو ستين موضعاً، وكلها جاءت في معرض الذمّ للذين يتصفون بهذه الصفة، وهم الكفّار في جميع المواضع التي وردت فيها هذه الصفة. ولاشك أن الذمّ إنما كان لما يقع في قلب المتكبر من أمراض لها آثار سلوكيه سيئة على الفرد ،فالمتكبر عنده «اعتداد وهزّة وفرح وركون إلى ما اعتقده، وعزّ في نفسه بسبب ذلك»[4].

والكبر من أعظم عوائق التفكير، لأنّه يجعل المتكبّر يأنف من اتباع الحق حتى وإن تبين له وجه الصواب فيه، فهذا الوليد بن المغيرة يسمع كلام الله -عز وجل-، فيعجب به ويثني عليه، لكن الكبر يدفعه إلى أن يقول في القرآن قولاً غير الحقيقة التي ظهرت له ، فوصف الله تعالى حالته بقوله :﴿**ثمّ أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلاقول البشر**﴾[5].

والكبر يسدّ على المرء منافذ الفهم والتدبّر، فتصبح وسائل الإدراك لديه معطّلة لأنها محجوبة بحجاب الكبر، قال تعالى : ﴿**الذين يجادلون في أيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين أمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبـــــر جبّار**﴾[6]، والقلب هو موطن الفهم والتفكر.

---

(١) راجع، أحمد عزت. أصول علم النفس. ص ٣٥٢.

(٢) الرازي. مختار الصحاح. ص ٥٦١.

(٣) الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. ص ٤٢١.

(٤) الغزالي. إحياء علوم الدّين. مج٣. ص ٣٤٤.

(٥) سورة المدثر : الآيات ١٨-٢٥.

(٦) سورة غافر : آية ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن الكبر يعطل الإحساس، فإن المستكبر يسمع ويرى، لكنه لاينتفع بما يسمع ويرى، لأن ما في نفسه من الكبر يمنعه من التأمّل وإدراك ما يسمع وما يبصر، قال تعالى : ﴿**ويل لكلّ أفّاك أثيم، يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم، وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين**﴾[1]، فإن من يرى آيات الله فالأولى به أن يستجيب لها لا أن يتخذها مجالاً لسخريته واستهزائه؛ لكنّه الكبر. يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿**ثمّ يصرّ مستكبراً**﴾ قال : «كمعناه في قوله القائل : يرى غمرات الموت ثمّ يزورها، وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه، ويطلب الفرار عنها، وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد، فمعنى ثمّ الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعداً في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها»[2].

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم**﴾»[3]، وكذلك قوله تعالى : ﴿**وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبـــاراً**﴾[4].

فالكبر من أكبر العوائق التي تحول بين المرء وبين الوصول إلى الحق، لأنه يمنع صاحبه من الخضوع للحق، قال تعالى : ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾[5]. كما أنه يثير في نفس المتكبر حبّ الغلبة والظهور مما يدفعه إلى المجادلة بالباطل، وهي من أعظم آفات العلم، إذ إن المستكبر يعزّ عليه أن يخطئه أحد في رأيه، فيمنعه ذلك من الإذعان والإقرار بالصواب[6]، وقد ذكر القرآن أن المشركين لعنادهم واستكبارهم ينكرون حتى ما يرونه بأعينهم قال تعالى : ﴿**وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم**﴾[7]، فإنهم لو رأوا قطعاً من السماء ساقطة عليهم لقالوا هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض سقط علينا وليس سماء، وهذا فعل المعاند أو فعل من استولى عليه التقليد[8].

---

(١) سورة الجاثية : الآيات ٧-٩.
(٢) الزمخشري. الكشاف. جـ٣. ص ٥٠٩.
(٣) سورة لقمان : آية ٧.
(٤) سورة نوح : آية ٧.
(٥) سورة النمل : آية ١٤.
(٦) المحاسبي. العقل وفهم القرآن. ص ٢٣٤.
(٧) سورة الطور : آية ٤٤.
(٨) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج٩. جـ١٧. ص ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا استولى على الإنسان الكبر فإنه يمنعه من الرؤية الموضوعيّة للأفكار، ويكون عائقاً كبيراً أمام الموضوعية في البحث والنظر، ويكون مصدر شك وارتياب في صحة ما يتوصل إليه الباحث من استنتاجات، وما يصدره من أحكام، وسيوقعه في خطأ التحيُّر الذي لاتكون النتائج معه صحيحة ولا دقيقة.

رابعا : الأوهام والخرافات

وهم في اللغة أي غلط، ووهم في الشيء إذا ذهب وهمه إليه وهو يريد غيره، وتوهم أي ظن[1]. و(خرافة) اسم رجل من عذرة استهوته الجنّ فكان يحدث بما رأى فكذّبوه وقالوا : حديث خرافة، والخرف فساد العقل من الكِبَر[2].

فالأوهام والخرافات هي تصورات وأفكار فاسدة لادليل عليها ولابرهان، يتوارثها الناس أحياناً فتكتسب شيئاً من التقديس، وبمرور الزمن تصبح أموراً مسلّمة لاتحتاج إلى نظر أو تفكير، وتصبح مخالفتها والخروج عليها أمراً صعباً.

ويدخل في الخرافة التعليل السّحري للظواهر والأحداث، وذلك بردِّ الظواهر الكونيّة إلى أمور خفيّة، تثير في نفوس الناس الرّهبة والخوف، ومن ثمّ فهم يلجأون إلى أساليب غير منطقيّة في التعامل مع هذه الظواهر كما أن ذلك قد يدفع النّاس إلى عبادة هذه الظواهر وتقديسها، فقد عبد الناس النجوم والكواكب، وفسّروا بعض ظواهر الكون تفسيراً خرافياً كظاهرتي الخسوف والكسوف، ولذلك لما كسفة الشمس زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «إن الشمس والقمر من آيات الله لاينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدّقـــوا ...»[3]، قال الإمام النووي : «والحكمة في هذا الكلام أن بعض الجاهليّة الضلال كانوا يعظمون الشمس والقمر فبيّن أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى لاصنع لهما، بل هما كسائر المخلوقات يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما، وكان بعض الضلال من المنجمين وغيرهم يقول : لاينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك، فبيّن أن هذا باطل لايغتر بأقوالهم لاسيّما وقد صادف موت إبراهيم رضي الله عنه»[4].

وقد تستولي الأوهام والخرافات على كثير من الناس، فيصبحون فريسة لها، لايستطيعون الفكاك منها، وتصبح قيوداً على تفكيرهم، وليس ذلك مقصوراً على عامّة الناس، بل قد تستولي مثل هذه الأوهام على العلماء والمفكرين، ولقد قال

(١) الرازي. مختار الصحاح. ص ٧٣٨.
(٢) نفس المرجع. ص ١٧٣.
(٣) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم بشرح النووي. جـ٤. كتاب الكسوف. حديث رقم ٦.
(٤) النووي، أبي زكريا، صحيح مسلم بشرح النووي. جـ٤. كتاب الكسوف. ص٥٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض العلماء الأوروبين : «إنّ خيرة العلماء ينسون قواعد العلم ومناهجه حينما يكونون إزاء حوادث السّحر، وما ذلك إلا لسلطان الأوهام»[1].

وقد حرص القرآن على تحرير الناس من الأوهام والخرافات، وذلك بمحاربته لجميع صور الوثنيّة، سواء كانت عبادة للحجارة أوالكواكب والنجوم أو الشجر أو غيرها، وأزال عنها صفة القداسة، وأظهر فساد عقول الذين يقدسونها، قال تعالى : ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لاتنطقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين فأقبلوا إليه يزفّون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾[2].

وأكد أن الكون بكل ما فيه مخلوق لله تعالى، وخاضع منقاد له، وأنه -سبحانه- قد سخر ما في الكون للإنسان، فليس في هذا الكون شيء يخافه المسلم فيلقي عليه صفة القداسة، فطاقة الإنسان وقدرته على التفكير تصبح مقيّدة أمام ما يقدّسه، فكيف يقدّس شيئاً ثمّ يخضعه للبحث والنظر[3]، قال تعالى : ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون﴾[4]. وقال تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثمّ استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين﴾[5].

وتكررت في القرآن الإشارة إلى العلاقة السببيّة في حوادث هذا الكون، وأنه محكوم بقوانين ونواميس، مما يتيح المجال أمام الإنسان لاكتشاف هذه النواميس وتسخيرها، فليس وراء أحداث الكون وظواهره أموراً غيبيّة وخرافية، وكل وهم أو خرافة يصنعها الناس حول هذه الظواهر إنما هو عائق أمام التفكير والكشف العلمي الذي هو من وظائف الإنسان على هذه الأرض.

وقد عرّف القرآن المسلم كذلك بعالم الغيب، فليس هناك أرواح شريرة غاضبة تثير البراكين وتحدث الزلازل، وليست الجن عالماً مفزعاً يلجأ الناس إليه ويستجيرون به من دون الله تعالى، وليست الأرواح الخيّرة هي التي تنبت الزرع، ومن هنا فليس هناك من دافع يدفع إلى تصديق الأوهام والخرافات التي ينسجها الناس فتحول إلى عوائق تعطل التفكير، فتحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة في مسائل الدين والدنيا .

---

(١) أبو زهرة، محمد. تاريخ الجدل. ص ١١.
(٢) سورة الصافات : الآيات ٩١-٩٦.
(٣) المبارك، محمد. الإسلام والفكر العلمي. ص ٤٣.
(٤) سورة فصلت : آية ٣٧.
(٥) سورة الأعراف : آية ٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: اتباع الظن الكاذب

الظن اسم لما يحصل عن أمارة فإن قويت أدّت إلى العلم، وإن ضعفت لم تتجاوز حدّ الوهم[1]، والظنّة التهمة، والظنين المتهم[2]، والظنون المتهم في عقله، والظنون كل ما لا يوثق به من ماء وغيره، يقال : علمه بالشيء ظنون إذا لم يوثق به ... والماء الظنون الذي تتوهمه ولست على ثقة منه ... وكل ما لا يوثق به فهو ظَنون وظنين[3].

وقد جاء الظن في القرآن بمعنى العلم المبني على دليل، وقد مدح الله المؤمنين الخاشعين في صلاتهم، المؤدين لها راضية نفوسهم، وذلك أنهم يعلمون علماً يقينياً أنهم سينالون جزاءهم عليها يوم يلقون ربّهم، قال تعالى : ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنّها لكبيرة إلا على الخاشعين، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون**﴾[4]، قال الزمخشري : «وفي مصحف عبدالله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بدّ من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسّر يظنون فيتيقنون»[5].

وقد ورد الظن بمعنى العلم في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿**إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾[6]، وقوله تعالى : ﴿**قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ...**﴾[7].

والظن المذموم في القرآن هو الذي لا أمارة عليه والذي هو مجرّد وهم، فقد وصف القرآن أحكام المشركين ومعتقداتهم بأنها مجرد ظن ونهى في كثير من آياته عن اتباع الظن، قال تعالى : ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدّهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**﴾[8]. وقال تعالى : ﴿**وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين**﴾[9].

---

(١) الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. ص ٣١٧.
(٢) الرازي. مختار الصحاح. ص ٤٠٦.
(٣) ابن منظور. لسان العرب. مادة ظن.
(٤) سورة البقرة : الآيات ٤٥-٤٦.
(٥) الزمخشري. الكشاف. جـ. ص ٢٧٨.
(٦) سورة الحاقة : آية ٢٠.
(٧) سورة البقرة : آية ٢٤٩.
(٨) سورة الجاثية : آية ٢٤.
(٩) سورة الجاثية : آية ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عاب القرآن على المشركين اعتمادهم في معتقداتم ومعارفهم على الظن، فإن أي اعتقاد لا دليل عليه فهو مجرد وهم باطل، قال تعالى : ﴿**وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون**﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ **ومنهم أميّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هم إلا يظنون**﴾[2]، قال أبو السعود في تفسير هذه الآية : «ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة أي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوّة فيؤمنوا ... إلا أماني» ... أي لايعلمون الكتاب لكن يتمنون أماني حسبما منتهم أحبارهم ... أولا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه ... «وإن هم إلا يظنون» ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين »[3].

وقد نهانا الله عز وجل عن الظن الذي هو مجرد شكوك، وأمرنا أن يكون علمنا مبنياً على نظر وتدبّر لنصل إلى الحقّ وإلى اليقين، قال تعالى : ﴿**وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظنّ لايغني من الحق شيئاً، فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**﴾[4]، «فإن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لايدرك إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقيّة وإنما يعتد به في العمليّات وما يؤدي إليها »[5].

وقد بيّن الإمام القرطبي[6]، أن للظن حالتين، **الأولى** : أن يتقوى بوجه من وجوه الأدلّة فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة على هذا، **والثاني** : أن يقع في النفس شيء من غير دلالة تؤيده فلا يكون ذلك أولى من ضدّه، وهذا هو الشك، ولايجوز الحكم به. ولذا فإن الله عز وجل لم يذم الظن جميعه، فإن منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه، والمذموم ضدّه، بدليل قوله تعالى : ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيـــراً**﴾[7]، وقوله تعالى : ﴿**وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً**﴾[8].

---

(١) سورة يونس : آية ٣٦.
(٢) سورة البقرة : آية ٧٨.
(٣) أبوالسعود. تفسير أبي السعود. مج١. جـ١. ص ١١٩.
(٤) سورة النجم : الآيات ٢٨-٣٠.
(٥) أبوالسعود. تفسير أبي السعود. مج٤. جـ٨. ص ١٦٠.
(٦) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج٨. جـ١٦. ص ٢١٧.
(٧) سورة النور : آية ١٢.
(٨) سورة الفتح : آية ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنهي عن اتباع الظن المذموم يوجب على المسلم ألا يتسرّع في إصدار أحكامه، وأن يبذل وسعه للإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، وأن يجمع كل ما يستطيع من معلومات حول الموقف الذي هو بصدده، لأن نقص المعلومات يؤدي في كثير من الأحيان إلى أحكام غير صحيحة. والتفكير السليم هو الذي يقود صاحبه إلى أحكام صائبه، وهذا متوقف على مدى إحاطة الفرد بالموضوع الذي يفكر فيه.

وأخيراً فإن القرآن وهو يدعو الإنسان إلى التحرر من العوائق التي تحدّ من انطلاق الفكر، وتحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة، إنما يؤسس القاعدة الأساسية للتفكير السليم، والتي إذا أصابها خلل فإن التفكير في مجمله سيكون تفكيراً منحرفاً، لأنه مغلول بقيود تمنعه من الوصول إلى الحق أو تحرفه عنه، أو تجعله يتنكر له بعد أن يعرفه، فإن من سيطر عليه التقليد أو تحكم به الهوى أو ركبه الاستكبار أو سيطرت على فكره الأوهام والخرافات أو سارع إلى إصدار الأحكام واتباع الظنون الكاذبة فإنّه سيكون أبعد الناس عن الحق والحقيقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

قواعـــد منهجيّة فـي تنميـــة التفكيـــر

لاشك أن تحرير التفكير من القيود عامل مهم لانطلاق التفكير، لكن التفكير يحتاج إلى تنمية من خلال الممارسة والتدريب، ذلك أن التفكير مهارة واسعة فهي تشمل معرفة كيفيّة التعامل مع المواقف والخواطر والأفكار والمفاهيم، واتخاذ القرار والبحث عن الدّليل والابتكار، إلى غير ذلك من الجوانب[1]، وتتوقف هذه المهارة في درجة نموّها ونشاطها على نوع التربية التي يتلقاها الإنسان، وعلى الوسائل التي تستعمل لتنميتها، وعلى البيئة التي تنمّى من خلالها.

وليس هناك برنامج واضح متفق عليه لتنمية التفكير، وإنما هناك آراء مختلفة حول أساليب تنمية التفكير، فيرى بعض التربويين أن هذه المهارة يمكن تنميتها عن طريق تفاعل عقل المتعلم مع المعلومات، وأن كل الموضوعات الدراسيّة تثير التفكير، فيما يرى آخرون أن اكتساب المفاهيم وتكوينها، ولعب الدور والتحري الإجتماعي والاستقصاء العلمي والمحاكاة كلها وسائل لتنمية التفكير[2]، بينما يرى البعض أن توجيه الإنتباه والإدراك والقدرة على الفهم هي من أهم الأمور في تعليم التفكير[3].

أمّا القرآن الكريم فإن المتأمّل في آياته يجد أن فيه إثارة للتفكير، وإشارات ذات دلالة منهجيّة لتنمية القدرات العقليّة، وفيما يلي عرض لبعض هذه القواعد كما يظهر للباحث :

---

(١) دي بونو، إدواردو. تعليم التفكير. ص ٦٣-٦٤.

(٢) الآغا، عبدالمعطي. مهارات التفكير المنمّاة باستخدام طريقة الاستقصاء لدى طلبة الصف الأول الإعدادي في كل من القرية والمدينة في مادة الجغرافية في الأردن. ص ٤-٥.

(٣) دي بونو، أدوارد. مرجع سابق. ص ٦٣-٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : إثارة الدافع للتفكير :

يرى بعض الباحثين[1] أن التفكير لايحدث إلا إذا سبقه موقف انفعالي معين، هذا الموقف الإنفعالي ضروري كمحرض على التفكير، إذ إن الإنسان لايبذل جهداً في التفكير إلا إذا كان هناك دافع قوي يدفعه إليه.

وقد يظن البعض أن العاطفة تناقض التفكير، وأن التفكير لايكون منتجاً إلا إذا تمَّ في جوّ بارد خال من العاطفة، لكن ذلك غير صحيح تماماً، إذ لابدّ من مستوى معين من الاندماج العاطفي في التفكير، فليس هناك ثمة مشكلة أو موقف يحتاج إلى تفكير دون أن يكون وراءه دافع، وغالباً ما يكون الفرق بين النجاح والفشل في الوصول إلى نتيجة ما ناجماً عن الفرق في الإصرار والتصميم النابعين من دوافع أصيلة عند ذلك الشخص الذي يوفق في الوصول إلى الحل، وعند الآخر الذي لم يتوصل إلى الحل[2]، إلا أن هذه العواطف يجب ألا تؤثر في النتيجة التي يتوصل إليها الإنسان، ويعتمد صدق النتيجة على الملاحظة الدقيقة الواعية والاستنباط الصائب، غير المتأثر بالتحيّز الإنفعالي[3].

ولاشك أن أعظم الدوافع التي عمل القرآن على ترسيخها وتعميقها هو دافع الإيمان، فكلما كان الإنسان أعمق إيماناً وأقوى يقيناً، كلما كان أكثر تأثراً بما يرى ويسمع من مشاهد ومواقف، ومن ثم فإن دافعه للتفكر في خلق الله -عز وجل- سيكون أعظم، ولذا فإن القرآن قد جمع بين الذّكر والتَفكُّر في معرض الثناء على أولى الألباب من المؤمنين، قال تعالى : ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[4].

وعمق الفكرة والتدبر يعتمد على درجة الإيمان، وكلّما ازداد إيمان المسلم كلّما سهل عليه الاستغراق في تفكر خاشع ينتقل فيه من المعرفة العلمية إلى مرحلة التذوق لدقة الخلق وجماله ثم إلى مرحلة العبور بهذا التذوق لدقة الخلق إلى مبدع الخلق-جل وعلا ...[5]، فيقوى بذلك إيمانه، ويقوى بذلك دافعه إلى التفكر في دورة متتابعة فلا يزال في زيادة إيمان وإقبال على التفكر.

---

(١) جعفر، نوري. التفكير : طبيعته وتطوره. ص ١٨٥.

(٢) عثمان، سيد أحمد وأبوحطب، فؤاد. التفكير : دراسات نفسية. ص ٤١٢.

(٣) جعفر، نوري. التفكير : طبيعته وتطوره. ص ١٨٥.

(٤) سورة آل عمران : الآيات ١٩٠-١٩١.

(٥) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي القرآن الكريم ذكر لبعض المواقف التي ترسم لنا منهجاً في ضرورة إثارة الدافع للتفكير، خاصة عند من تبلدت عقولهم ولم يعد لديهم -لانطماس بصائرهم - أي دافع يحفزهم على التفكر، من ذلك ما جاء في كتاب الله - عز وجل- عن محاورة إبراهيم عليه السلام لقومه، يقول تعالى بعد أن ذكر تحطيم إبراهيم عليه السلام أصنام المشركين : ﴿**قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثـــمّ نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾[1]، ويبين سيد قطب عند تفسير هذه الآيات : أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب عندما قال «بل فعله كبيرهم هذا» وإنما أراد أن يبين لهم سخف عقولهم، فإن هذه التماثيل لاتدري من حطمها، فهي جماد لا إدراك لها، وأنتم أيها المشركون مثلها لاتميّزون بين الجائز والمستحيل «فاسألوهم إن كانوا ينطقون» وقد هزّهم هذا التهكّم الساخر، فرجعوا إلى شيء من التدبّر والتفكّر، «وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم. وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرّة فيتدبّروا ذلك السخف الذي يأخذون به أنفسهم، وذلك الظلم الذي هم فيه سادرون. ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الجمود»[2].

كما سلك القرآن في إثارة التفكير أسلوب السؤال المثير للتفكير، وهو أسلوب فعّال في إثارة التفكير، خاصة إذا كان موضوع التساؤل مما يدخل في دائرة اهتمام المخاطبين، والشواهد في القرآن على هذا الإسلوب كثيرة، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك : قال تعالى : ﴿**وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت**﴾[3].

وقال تعالى : ﴿**وحاجّهُ قومه قال أتحاجُّونّي في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كلّ شيءٍ علماً أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون**﴾»[4].

وقال تعالى : ﴿**الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون**﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء : الآيات ٦١- ٦٥

(٢) قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤. ج١٧. ص ٢٣٨٧.

(٣) سورة التكوير : الآيات ٨-٩.

(٤) سورة الأنعام : الآيات ٨٠-٨١.

(٥) سورة غافر : الآيات ٧٩-٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : ﴿ألم يك نطفة من منيٍّ يمنى ثمّ كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾[1].

ثانيا : التوجيه المقصود للإنتباه :

يميّز علماء النفس بين نوعين من التفكير؛ **الأول** : التفكير الاستدلالي، وهو التفكير الموجه لتحقيق هدف معين، ويخضع هذا النوع من التفكير لضبطنا وتحكمنا، **والثاني** : التفكير الاجترارى أو التفكير التخيلي وهو التفكير الذي تتوارد فيه الأفكار تلقائياً دون وجود هدف محدد، كما يحدث في أحلام اليقظة[2].

ولاشك أن التفكير المقصود الهادف هو التفكير الذي يؤدي إلى نتائج إيجابيّة في حياة الفرد وحياة الجماعة، وهذا التفكير لايحدث إلا إذا قام الفرد بتوجيه انتباهه توجيهاً مقصوداً نحو الموضوع الذي يود أن يفكر فيه، وإلا فإنه سيقع في الغفلة التي نهى الله تعالى عنها، ووصف بها المشركين المعرضين عن آياته ، قال تعالى : ﴿**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لايتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين**﴾[3].

ويفرّق بعض الباحثين[4] بين نوعين من الانتباه : انتباه استسلامي لا إرادي ينتقل فيه الشخص بين أشياء كثيرة دون غرض، وانتباه نشط فعّال، يتركز في شيء معين دون سواه، ويتصف بانحرافه عن كل ما لا علاقة له بالشيء الذي يتركز فيه.

ولاشك أن هناك اختلافات بين الناس في قدرتهم على التركيز، تعود إلى خصائص الجهاز العصبي الذي وهبه الله للإنسان، فهناك فريق من الناس يضخم التكوين الشبكي من الإشارات العصبيّة التي ترسلها الأعضاء الحسيّة إلى الدماغ، فيتمتع الفرد بقدرة كبيرة على التركيز، بينما تقوم الألياف العصبيّة لدى فريق آخر بكفّ الإشارات والنبضات العصبيّة المرسلة إلى الدماغ والتخفيف منها، وهؤلاء أقل قدرة على التركيز من الفريق الأول. إلا أن غالبية الناس متوسطين بين الفريقين[5]، ولتدريب الانتباه على التركيز دور كبير في تنمية التفكير، ويمكن أن يتم ذلك بأن يعتاد المرء تنفيذ جميع الأمور بكل انتباه مهما كانت هذه الأمـــــور

(١) سورة القيامة : الآيات ٣٧-٤٠.
(٢) نجاتي، محمد عثمان. علم النفس في حياتنا اليوميّة. ص ٣٢٠-٣٢١.
(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٦.
(٤) جعفر، نوري. مرجع سابق. ص ١٤٦.
(٥) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٨٩-٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسيطة، وذلك أمر إرادي يتم بسيطرة الإنسان على نشاطه الذهني وتوجيهه الوجهة الصحيحة في جميع الظروف[1].

والقرآن الكريم يستخدم أساليب متنوعة لإثارة التفكير، من ذلك ما جاء في بدايات بعض السور من حروف مقطّعة، فإن لتصدير السُّور بهذه الحروف، جذب لأنظار المعرضين عن هذا القرآن، إذ تطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم، فينتبهوا إلى ما يلقى إليهم من آيات بيّنات[2].

وقد حرص القرآن على لفت أنظار الناس إلى ما ألفوه، إذ إن الإنسان في كثير من الأحيان لايجد فيما ألفه وتكررت مشاهدته له ما يثيره أو يدفعه إلى الالتفات إليه، لأن الألفة غشاوة تحجب عن الإنسان أعظم ما يبعث على التفكير والنظر.

وفي دعوة القرآن إلى التأمل والتفكر في الأمور المألوفة المشاهدة، تأكيد على ضرورة التدريب على توجيه الإنتباه بوعي إلى ما حولنا، يقول تعالى : ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت**﴾[3]، فكم رأى العرب الإبل وسخروها، وكم رأوا الجبال الهائلة العجيبة، وكم قضوا ليلهم في الصحراء ينظرون إلى السماء الصافية؟، وكم ساروا في الصحراء وقد امتدت أمامهم مدّ البصر؟ لكن هل استوقفهم ذلك للتأمل والتفكر؟ إن الإلف قد أنساهم عظمة هذه المخلوقات، وما فيها من إبداع وإتقان.

وفي موقف آخر يوجه القرآن الأنظار إلى مشهد ألفه العرب في رحلاتهم إلى الشام، لكنهم لم يلتفتوا إليه ولم يأخذوا منه العبرة، قال تعالى : ﴿**ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لايرجون نشوراً**﴾[4]، وفي قوله تعالى : ﴿**أفلم يكونوا يرونها**﴾، توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه، فقد كانوا ينظرون إليها، لكنهم لم يتفكروا فيها ولم يتعظوا بها »[5].

وقد استخدم القرآن أسلوب القسم في فواتح السور، وذلك في سور كثيرة مَن أمثلة ذلك : «والذاريات ذروا» «والسماء ذات البروج» «والسماء والطـــــارق»

---

(١) جعفر، نوري. التفكير : طبيعته وتطوره. ص ١٤٣.

(٢) الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. ج١. ص ٣١.

(٣) سورة الغاشية : الآيات١٧-٢٠.

(٤) سورة الفرقان : آية ٤٠.

(٥) أبوالسعود. مرجع سابق. مج٣. جـ٦. ص ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«والتين والزيتون وطور سينين» وفي ذلك إثارة للإنتباه، وتوجيه للسامع كي يوجه طاقاته الذهنية للاستماع للقرآن، والتركيز فيما يتلى[1].

وقد سبقت الإشارة إلى أن توجيه الانتباه أمر إرادي، وهو ينمو ويتحسن بالتدريب والممارسة، والقرآن يؤكد على أن ذلك أمر إرادي يستطيعه الإنسان، وإلا لما أمرنا -سبحانه- بالإنصات عند تلاوة القرآن، قال تعالى : ﴿**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾[2].

ثالثا: تنمية القدرة على التخيل

لقد سبقت الإشارة عند الحديث عن أدوات التفكير إلى أن الصور الذهنيّة هي احدى هذه الأدوات، والصور الذهنيّة هي خبرة أو واقعة ذات طابع حسّي يستحضرها الفرد في ذهنه، فالفرد عندما يمر بتجربة أو خبرة فإن الحواس تنقل هذه الخبرة إلى العقل فيدركها، ثم إن الإنسان يستحضر هذه الخبرة في ذهنه على هيئة صور في غيبة التنبيهات الحسيّة[3].

وتكوين الصور الذهنيّة أمر في غاية الأهميّة بالنسبة للتفكير، إذ أنه لايمكّن الفرد فقط من استحضار هذه الصور عند التفكير فيها، بل يمدّه بالقدرة على تخيل صور ذهنيّة مختلفة في كثير أو قليل عن الخبرة التي مرّ بها، وهذه القدرة على التخيل ذات أهمية كبيرة بالنسبة للتفكير، إذ إن هذه القدرة هي التي تمكن الأفراد من فرض الفروض ووضع الاحتمالات فإنه لايتأمل في الواقع المحسوس وإنما يتجه إلى ما وراءه ليدرك أبعاد الموقف واحتمالاته، إن أي عمل إبتكاري إنما هو نتيجة لجهد متواصل لإدراك ما وراء الأشياء الحاليّة الحقيقيّة مع بذل الجهد للتحقق من صدق هذه الأفكار التي يتوصل إليها الباحث[4].

ولاشك أن الناس يختلفون في قدرتهم على التخيّل والتصوّر، إلا أن الخبرة والتدريب على التصور والتخيل أمور ذات تأثير كبير في انطلاق تحليقات الأفراد الخياليّة أو تضييق نطاق هذه التحليقات، وأن قدرة الإنسان على التفكير تتأثر بدرجة كبيرة بقدرته على التخيّل، وفي هذا يقول وليم جيمس : «إن الرّجل العبقري هو الشخص الذي يستطيع القيام بقفزات فكريّة واسعة»[5].

---

(١) نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. ص ١٨٤.

(٢) سورة الأعراف : آية ٢٠٤.

(٣) راجح، أحمد عزت. مرجع سابق. ص ٣٢١.

(٤) هلنش، جوردن وسميث، فيليب. التفكير التأملي. ص ١٦٣-١٦٤.

(٥) المرجع السابق. ص ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سبقت الإشارة عند الحديث عن لغة القرآن إلى الأسلوب القرآني الفريد في التصوير، فهو يصور المواقف كأنما هي مشاهدة محسوسة، لكن القرآن كذلك ينمّي القدرة على التخيّل، يقول تعالى : ﴿**أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم، إنا جعلناها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين**﴾[1]، فلاشك أن الناس لايعرفون رؤوس الشياطين، وإنما شبهها الله عز وجل برؤوس الشياطين لأنها وإن لم تكن معروفة إلا أنه قد استقر في نفوس الناس أن الشياطين قبيحة[2]، قال أبو السعود : «وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك»[3]، وللإنسان بعد ذلك أن يذهب في تصوّر رؤوس الشياطين كل مذهب، وقطعاً فإن الواقع سيكون مختلفاً، ولكن في ذلك إثارة للتخيل والتصور.

والقرآن يضرب المثل للشيء المعنوي بالشيء المادي المحسوس، وللعقل بعد ذلك أن يرسم في تخيلاته لهذه الأشياء الحسيّة الصورة التي يستطيع فكره أن يصل إليها، يقول تعالى : ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريٌ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيّة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للنّاس والله بكل شيء عليم**﴾[4].

وهذا مثل ضربه الله عز وجل - ليقرب للإدراك صورة غير المحدود، ويرسم نموذجاً يتأمله الحس، ويقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير، وهو لايريد للإدراك البشري أن ينحصر في الزجاجة الصغيرة والتي ما ضربت إلا لتقريب الأصل الكبير ،ولذا فقد شبهها بالكوكب الدّري، وزيتها ليس زيتا من هذا الزيت المشهور ولكنّه زيت آخر عجيب[5]، ومهما ذهب بك الخيال فالواقع أعظم من ذلك بكثير.

رابعا : تنمية المهارات اللغوية

إن العلاقة بين الحديث والتفكير علاقة مهمة، وقد سبق الحديث عن علاقة اللغة بالتفكير، ولكن بالرغم من أن اللغة أداة من أدوات التفكير، إلا أن إنماء القدرات اللغويّة، عامل مهم في تحسين مهارة التفكير، إذ إن كثيراً من المشكلات تعتمد على العلاقات اللغوية المجردة، وإذا لم يتمكن الإنسان من إدراك دلالات اللغة، وما تتضمنه من معان فإنه سيكون عاجزاً عن فهم أبعاد المشكلات التي يقف إزاءها، ولاشك أن

(١) سورة الصافات : الآيات ٦٢-٦٥.
(٢) ابن كثير، أبوالفدا. تفسير القرآن العظيم. جـ٤. ص ١٠.
(٣) أبوالسعود. مرجع سابق. مج٤. جـ٧. ص ١٩٤.
(٤) سورة النور : آية ٣٥.
(٥) قطب ، سيد .في ظلال القران ٤٤٠ .ج ١٨ . ص٢٥١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التدريب على فهم اللغة واستخدامها، مما يساعد كثيراً في تحسين مهارة التفكير، إذ أن كثيراً من المشكلات إمّا أن يصاغ في عبارات مجرّدة أو يحل بمساعدة أنماط لغويّة أو عدديّة[1].

واللغة أداة اجتماعية، وهي ضرورية لكل فرد من أجل ضبط خبراته وتوسيع دائرتها، ومن أجل اكتساب ثقافة المجتمع الذي يولد فيه، وكل المفردات التي يكتسبها الفرد من خلال تربيته وتعليمه هي أدوات ستساعده في المستقبل على إثراء ثقافته وتنمية تفكيره، كما أنها ستكون عوناً له في التعبير عن مفاهيمه وأفكاره للآخرين، ولذا فيجب أن تحظى بكل عناية واهتمام وأن لايسمح بأن يعلوها الصدأ ويأتي عليها النسيان[2].

ويرى بعض الباحثين[3] أن كثيراً من التحسن في التفكير إنما ينشأ عن مزاولة التعبير عن الأفكار، والاستماع إلى التعبير عنها، وهذا إنما يحدث من خلال الإتصال بالمجتمع والحوار والنقاش مع الآخرين مما ينمي الثقة وطلاقة الحديث.

ويرى (ديوي) أن من أهم واجبات المدرسة فيما يختص باللغة، هو توجيه كلام التلاميذ حتى يصبح أداة واعية لتوصيل المعرفة ومعاونة التفكير، ويضع على عاتقها ثلاثة واجبات :

الأول : زيادة مفردات التلميذ.
الثاني : استخدام الكلمات بدقة وصحة أكبر.
الثالث : تكوين عادة الحديث المتسلسل[4].

وكل معلم يدرس بلغة من اللغات فهو معلم لتلك اللغة، بغض النظر عن الموضوع الذي يدرسه، ولذا فإن على المدرسين أن يكونوا واعين لهذا الدور وأن يحرصوا على مفردات تلك اللغة ومفاهيمها وأن يكونوا حساسين في تعليمهم، وأن يحرصوا على حفظ هذه اللغة وتنميتها لدى المتعلمين[5].

والقرآن الكريم هو الركيزة الأولى في تعليم العربيّة وتنميتها، ولكنّه للأسف لايحظى في مدارسنا بالاهتمام اللازم في تعليمه، وقد خصص للقرآن الكريم حصة واحدة أسبوعياً حتى الصف العاشر الأساسي، وألغيت هذه الحصة في المرحلة

---

(١) عثمان، سيد أحمد وأبو حطب، فؤاد. مرجع سابق. ص ٤٢٥.
(٢) هلنش، بوران وسميث فيليب. التفكير التأملي. ص ١٥٨.
(٣) دي بونو، إدوارد. مرجع سابق، ص ٢٦٥.
(٤) المرجع السابق. ص ١٦٦.
(٥) المرجع السابق. ص ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانوية، وإذا ما أريد للتعليم أن يحقق أهدافه في تنمية التفكير، فيجب أن يعاد النظر في برنامج القرآن الكريم، من حيث الوقت المخصص له وطرائق التعليم المتبعة.

خامسا : تحسين البيئة المادية والنفسية للفرد

لابد من توفير البيئة المناسبة لنمو القدرة على التفكير، وكلّما كانت البيئة الاجتماعية والنفسية التي يعيش فيها الفرد أفضل، كلما كان الفرد أقدر على استثمار طاقاته إلى أقصى مدى ممكن. فالقدرات العقليّة لدى أغلب الناس متقاربة، ولاشك أن نموّها يتوقف في جانب كبير منه على البيئة التي تتفاعل معها هذه القدرات[1].

وإن أي تحسين في الظروف الماديّة والنفسية للفرد سيؤدي إلى تحسين التفكير عنده، فالإنسان الذي يعيش في بيئة يتوفر له فيها كل الأسباب المادية وليس هناك مشكلات أو متاعب ماديّة تشغل فكره، فإنه سيكون أقدر على النظر والتفكر، بخلاف الشخص الذي ترهقه المطالب الماديّة، والحاجات المعاشية فإن تفكيره سيصاب بالشلل ولا يتجاوز به أمور معاشه.

كما أن الإنسان المصاب بالقلق والإضطراب أو الإكتئاب أو غير ذلك من الإضطرابات النفسية، فلن يكون قادراً على التفكير بتركيز وعمق، ولاشك أن المرض النفسي أشد تأثيراً على الإنسان من المرض العضوي، فإن كثيراً من الناس وخاصّة من المؤمنين يصبر على المرض العضوي ولكن الهمّ والحزن والاكتئاب أعداء للصفاء الذهني الذي يحتاجه المؤمن المتفكر[2].

والقرآن الكريم يدعو لمواجهة الحاجات الماديّة للأفراد وتلبيتها، وذلك في آياته التي تدعو إلى الصدقة والإحسان والإنفاق وترغب فيها، وقد جاء بالتشريعات الكفيلة بتأمين هذه الحاجات للناس جميعاً. وفي الوقت نفسه فإن القرآن يدعو إلى أن يتوجه الإنسان بعقله وقلبه نحو الآخرة، وأن يتحرر من المطالب الماديّة وأن لاينشغل بها، قال تعالى : ﴿**ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**﴾[4].

---

(١) جعفر، نوري. مرجع سابق. ص ١٩٨.

(٢) بدري، مالك. مرجع سابق. ص ٩٢.

(٣) سورة طه : آية ١٣١.

(٤) سورة القصص : آية ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم كذلك يعالج الاضطرابات النفسيّة بما اشتمل عليه من توجيهات إيمانية، ترسخ الإيمان وتقويه، وكلّما استغرق الإنسان في تلاوة كتاب الله -عز وجل- كلما ازداد إيماناً وسكينة وطمأنينة، يقول تعالى : ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[1]، وقال تعالى : ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً**﴾[2]، فالقرآن شفاء من القلق والاضطراب والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن، والقرآن شفاء من الخلل في الشعور والتفكير، وهو يعصم العقل من الشطط، ويكفه عن أن ينفق طاقته فيما لايجدي، ويجعل نشاطه منتجاً ومأمونـــاً[3].

والقرآن يحفظ المسلم من الحزن القاتل المفضي إلى الاكتئاب، لأنه يرسخ في نفس المؤمن أن كل ما يجري في هذا الكون إنما يجري بعلم الله وإرادته ومشيئته، فلا يحزن على ما فاته، ولا يتألم إلا إذا قصّر في طاعة أو تقاعس عن واجب، يقول تعالى : ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لايحب كل مختال فخور**﴾[4]، ولذا فإن المؤمن المتصل بالله ساكن وقور، فهو يفكر ويتدبر دون أن تغتال الأحزان والهموم عقله.

سادسا : الإحاطة بجميع المفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير

التفكير عملية عقلية تهدف إلى استخدام أدوات التفكير استخداماً سليماً، يمكن الفرد من تفسير الظواهر، والوصول إلى نتائج وتعميمات، وتصنيف الظواهر موضوع البحث، والكشف عن العلاقات المختلفة فيما بينها[5]، وإذا كان الأمر كذلك فإن التفكير لن يؤدي إلى نتائج صائبة ما لم يكن لدى الإنسان المفاهيم والمعلومات الكافية حول الموضوع، ومن الضروري أن يحيط الإنسان بجميع المعلومات المتعلقة بالموضوع، وإلا فإن تفكيره سيكون تفكيراً جزئياً محدوداً.

وتعدّ النظرة الجزئية من الأخطاء الرئيسة في التفكير، إذ إن الإنسان في هذه الحالة ينظر إلى جزء من الحقيقة ثم يقيم على أساسها حجته وحكمه، وهو خطأ يقع فيه كثير من الأشخاص، ولا يتبينّه إلا من كان ملماً بكل جوانب الموقف[6].

---

(١) سورة الرعد : آية ٢٨.
(٢) سورة الإسراء : آية ٨٢.
(٣) قطب، سيد : في ظلال القرآن. مج٤. جـ١٥. ص ٢٢٤٨.
(٤) سورة الحديد : الآيت ٢٢-٢٣.
(٥) عبدالعال، حسن. مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية. ص ١٧٩.
(٦) دي بونو، ادوارد. مرجع سابق. ص ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى بعض الباحثين[1] أن أهم خطوات تعليم التفكير وتنميته تكمن في تشجيع المتعلمين على النظر إلى الموقف من منظور أوسع بدلاً من التسرع والنظر إليه من منظور جزئي، ويقع الخلل أحياناً نتيجة إهمال بعض الجوانب، أو لعدم التدقيق للتعرف على جميع جوانب الموضوع.

ولذا فإنه من الضروري أن يوجّه الإنسان ليفكر تفكيراً شمولياً، وهو التفكير الذي يتناول الظاهرة من جميع جوانبها، بدلاً من التركيز على جزء فقط من الظاهرة موضوع البحث. وفي بعض الأحيان يبحث البعض في قضية ما لتأكيد آراء مسبقة، ولذا فإنه يلجأ إلى أن يجمع من المعلومات ما يؤكد صدق هذا الحكم المسبق، وأحياناً يجمع من المعلومات ما يبطل به حجة أخرى هو غير مقتنع بها، لكن ذلك لايكفي لتأييد وجهة نظره، بل لابدّ من جمع جميع المعلومات المتعلقة بالموضوع من أجل الوصول إلى أحكام صائبة[2].

والقرآن الكريم يؤكد على أهميّة الإحاطة بالموضوع قبل اصدار الأحكام عليه، قال تعالى : ﴿**بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله كذلك كذّب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾[3]، والحكم الصائب هو ما أحاط الإنسان بعلمه قال تعالى عن الهدهد : ﴿**فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين**﴾[4].

والتسرع في إصدار الأحكام، قبل الإحاطة بالموضوع، يوقع لامحالة في الخطأ، ولذا فقد جاءت الآيات تأمر بالتروي، والتحرز من إصدار الأحكام قبل أن يلمّ المرؤ بالأمر من جميع جوانبه، قال تعالى : ﴿**يأ أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾»[5] . قال تعالى: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السّمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾[6]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية : «أي لاتتبع ما لاتعلم ولايعنيك. قال قتادة : لاتقل رأيت وأنت لم تر، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم ... وقال القتبي : المعنى لاتتبع الحدس والظنون»[7].

---

(١) دي بونو، إدوارد. مرجع سابق. ص ٦٤.
(٢) الكيلاني، ماجد. مقوّمات الشخصيّة المسلمة. ص ٥٨-٥٩.
(٣) سورة يونس : آية ٣٩.
(٤) سورة النمل : آية ٢٢.
(٥) سورة الحجرات : آية ٦.
(٦) سورة الإسراء : آية ٣٦.
(٧) القرطبي. مرجع سابق. مج٥. جـ١٠. ص ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولاشك أن هناك طرقاً متعددة لجمع المعلومات، وبعض هذه الطرق أفضل من غيرها، وذلك بحسب الميدان الذي تبحث فيه. وليس جمع المعلومات أمراً سهلاً، والتفكير لايقف عند جمع المعلومات وإنما الجانب الأهم في التفكير هو فحص هذه المعلومات وتدقيقها، ومحاكمتها وفق معايير صائبة، للتوصل إلى الأحكام أو التعميمات الصحيحة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

مناهج البحث وأصولها في القرآن الكريم

يحتاج المرء إلى مزيد من المعلومات قبل أن يبدأ بالتفكير، فالتفكير الصائب هو التفكير الذي يستند إلى معرفة شاملة بالموضوع، هذه المعرفة الشاملة لا تتيسر بسهولة، بل تحتاج إلى جهد ومثابرة وصبر، والتفكير في حقيقته هو القدرة على استخراج المعلومات ثم معالجتها وتمحيصها ونقدها للوصول إلى التفسيرات أو التعميمات أو الأحكام، والتي هي الهدف من التفكير.

ولما كان التفكير لايقتصر على مجال واحد من مجالات المعرفة أو قضية واحدة من قضايا الحياة ومشكلاتها، فإن جمع المعلومات المتعلقة بموضوع التفكير، تختلف طرائقه باختلاف موضوع التفكير ومجاله، وهذا يقتضي تنوعاً في مناهج البحث بحسب موضوع المعرفة التي يراد بحثها، ولعلَّ أهميّة المنهج تفوق أهميّة المعرفة التي يمكن تحصيلها، إذ إن صحة هذه المعرفة وسلامتها تعتمد بشكل كبير على المنهج المتبع في تحصيلها[1].

وقد عرّف (النشار، ١٩٧٧) المنهج بأنّه : «طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية»[2]. وعرّف رومل البحث بأنه : «تقصّ أو فحص دقيق لاكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، ونموّ المعرفة والتحقق منها»[3]. وعليه فإن منهج البحث : هو الطريق الذي يسلكه الباحث لتقصي الحقائق والوصول إلى المعلومات في أي فرع من فروع المعرفة.

وقد تضمن القرآن بشكل لايرقى إليه شك أصول المبادىء المنهجيّة العلميّة في البحث والتفكير، وقد استمدّ علماء المسلمين هذه المبادىء من القرآن، ودوّنوا في مؤلفاتهم وصفاً دقيقاً لها، واعتمدوها في بحوثهم في مختلف العلوم الدينية والدنيويّة[4]، وفيما يلي عرض لأهم هذه المناهج وأصولها في كتاب الله عز وجل.

---

(١) الدسوقي، فاروق. الإسلام والعلم التجريبي، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) النشار، علي. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ص ٣٦.

(٣) عبدالحميد، جابر وجبري، أحمد. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٢٠.

(٤) عودة، أحمد، وملكاوي، فتحي. أساسيّات البحث العلمي. ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : المنهج الاستدلالي

يعرف بعض الباحثين الاستدلال بأنّه : (عمليّة ذهنيّة فكريّة تستهدف حلّ مشكلة قائمة أو اتخاذ قرار لحل ذهني لفكرة عن طريق رموز اللغة أو الخبرات السابقة»[1]، ويرى بعضهم أن الاستدلال أسلوب في التفكير يقوم على ترتيب النتائج على مقدمات معلومة يسلّم بها الخصم، أو هو انتقال من معلوم إلى مجهول، وتكون المقدمات معلومة إما لوضوحها، وإما لأنها قد سبق البرهان والاتفاق عليها[2].

والاستدلال يقتضي تفاعل عدّة عمليّات عقلية مثل : التذكر، والتصور والاستنتاج والتعليل والنقد والتجريد والمحاكمة ... وغيرها[3]، وتتوقف صحة الاستدلال على صحة المقدمات، وعلى صحة الرّبط بين النتائج والمقدمات أو مبدأ التلازم بين النتيجة والمقدّمة، وعلى وضوح العلاقة بينهما[4].

وأساس هذا المنهج أن قدرة الإنسان في التعرّف على حقائق هذا الوجود بواسطة الإدراك الحسّي والتجربة محدودة، ولذا فإن كثيراً من الحقائق يتوصل إليها بطريق الاستدلال، فيدرك الإنسان الحقائق المجهولة استنتاجاً من حقائق أخرى معلومة[5]، ومن هنا تصبح المعطيات الحسيّة الموجودة في عالمنا، والحوادث التي نشاهدها، والظواهر التي تتكرر منطلقاً للاستدلال، فيكون الاستدلال قائماً على الملاحظة الحسيّة، ولاشك «أن الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحسّ دون عمل فكريّ عميق أقوى أثراً وأبلغ حجّة، وقد اشتملت أدلّة القرآن الكريم وبراهينه على ما فطرت عليه النفوس، وما تشهد بصحته العقول، دون إخلال بإحكام الحجّة وروعة البيان وسلامة المنطق، فهو في متناول الخاصة والعامّة يأتي من الحقيقة البرهانية بما يرضي العقول، ومن المتعة الوجدانيّة ما يهز القلوب ويحرّك المشاعر»[6].

وقد كان استدلال القرآن على الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، وهي وجود الله تعالى، من عالم الحس والشهادة، فقد عرض القرآن الكريم مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة عرضاً شاملاً، فعرض الطبيعة بأرضها وسمائها، وبرها وبحرها، وصحرائها وخضرائها، وشموسها وأفلاكها..، وذلك للإنتقال منها إلى الخالق، والتعرّف على ما تحمله من دلالات جازمة على وجود الله تعالى، وما يتصف به من صفات الكمال، وأياً

(١) الهاشمي، عبدالحميد. أصول علم النفس العام. ص ٢٣٤.
(٢) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٥٢.
(٣) عبدالعال، حسن. مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية. ص ١٤٣.
(٤) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٥٢.
(٥) ماندر، أ.ى. التفكير الواضح. ص ٥٧.
(٦) الألمعي، زاهر. مناهج الجدل في القرآن. ص ٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأياً كانت المشاهد الكونيّة التي تقع تحت حسّه، فإنّه يجدها في القرآن ويجد فيها الدّلالة القاطعة على وجود الله تعالى ووجوب الإيمان به[1].

ومنهج القرآن في الاستدلال يتميز بعدّة ميزات منها :

١- أن القرآن الكريم يبني استدلاله إما على مقدّمات مسلّم بها بداهة وإما على مقدّمات يبرهن على صحتها[2]، قال تعالى : ﴿**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾[3]، فقد جاءت هذه الآية ردّاً على بعض أحبار اليهود الذين نفوا أن يكون الله -عز وجل- أنزل على أحد من البشر شيئاً، فجاء ذلك جواباً مفحماً بدليل معلوم لدى الخصم بداهة وهو لايستطيع إنكاره[4].

٢- أن القرآن الكريم يذكر المقدمات التي يسلّم بها جميع العقلاء، ثم يترك للمخاطبين استنباط النتائج من هذه المقدمات، وفي هذا تربية للعقل على حسن الاستدلال، وعلى التفكير السليم[5]، قال تعالى : ﴿**أم خلقوا من غير شيء، أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون**﴾[6]، والعاقل يسلّم بأنه لم يخلق من غير شيء، وليس هو خالق نفسه ولا هو خالق السموات والأرض، إذاً فمن هو الخالق؟

٣- أن القرآن يوجب على كل إنسان أن يبرهن علي كل حقيقة يصل إليها، فالنافي لحقيقة من الحقائق والمثبت لها كلاهما يجب عليهما أن يكونا متبعين للدليل[7]قال تعالى : ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾[8]، وقال تعالى : ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرّحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**﴾»[9]وقال تعالى : ﴿**وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لاتعملون**﴾[10].

---

(١) زرزور، عدنان. دراسات في الفكر الإسلامي. ص ٨٦.
(٢) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٥٥.
(٣) سورة الأنعام : آية ٩١.
(٤) أبوالسعود. تفسير أبي اسعود. مج٢. جـ٣. ص ١٦١.
(٥) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٥٥-٥٦.
(٦) سورة الطور : الآيات (٣٥-٣٦).
(٧) النحلاوي، عبدالرحمن. التربية بالآيات. ص ٥٥-٥٦.
(٨) سورة البقرة : آية ١١١.
(٩) سورة الزخرف : آية ١٩.
(١٠) سورة البقرة : آية ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- أن أدلّة القرآن صالحة لكلّ زمان ومكان، والقرآن يشير إلى أن الأدلّة على صدق الحقائق التي جاء بها أدلّة متجدّدة، يستطيع الناس في كل زمان أن يصلوا إلى ما يؤكدها، قال تعالى : ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق**﴾[1]، فهذه الآية تقرأ دائماً بصيغة الاستقبال، مما يدلّ على أن كل جيل يأتي سيطلع على ما لم يطلع عليه من سبقوه من دلائل تؤكد صحة ما جاء به القرآن وأحقّيته [2]، وقد أورد الإمام السيوطي[3] صوراً من استدلال القرآن منها.

- الاستدلال على أن خالق الكون واحد بدليل التمانع، والذي أشار إليه قوله تعالى : ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾[4]، فإنه لو كان للعالم خالقان لما جرى الكون على نظام ولا اتسق على أحكام، فلو فرض اختلاف إرادتهما في أمر، فإما أن تنفذ إرادتهما وهذا محال، وإما أن لا تنفذ إرادتهما أو إرادة أحدهما فيؤدي ذلك إلى عجزه، والعاجز لايكون إلهاً.
- ومنها الانتقال وهو أن ينتقل المستدلّ من دليل إلى آخر لكون الخصم لم يفهم وجه الدّلالة من الأول، ومثاله ما ذكره القرآن عن مناظرة الخليل إبراهيم عليه السلام للنمرود، إذ قال له إبراهيم عليه السلام : «ربي الذي يحي ويميت» فقال النمرود : «أنا أحي وأميت» ثمّ دعا من وجب عليه القتل فأعتقه ومن لايجب عليه فقتله، فعلم الخليل أنّه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة أو أنه علم لكنّه غالط بهذا الفعل، فانتقل إبراهيم عليه السلام إلى دليل آخر، فقال : «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» فانقطعت حجة النمرود.
- ومنها مجاراة الخصم حتى تتبين عثرته، وذلك بالتسليم ببعض مقدماته مع بيان أنها لاتؤدي إلى المراد، من ذلك قوله تعالى : ﴿**قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده**﴾[5]، فقد اعترف الرّسل بأنهم بشر وأن ذلك حق لاينكرونه، ولكن هذا لاينافي أن يمنّ الله على أحد من البشر بالرسالة، بل إن سنة الله الجارية أن يكون الرّسل بشراً.
- ومنها القول بالموجب، قال ابن أبي الأصبع : وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه، وجعله بعض العلماء قسمين: **الأول** : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكماً فيثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى :

---

(١) سورة فصلت : آية ٥٣.

(٢) زرزرو، عدنان. دراسات في الفكر الإسلامي. ص ٨٨.

(٣) راجع : السيوطي، جلال الدين. الاتقان في علوم القرآن. ص ٢١٥-٢٩٧.

(٤) سورة الأنبياء : آية ٢٢.

(٥) سورة إبراهيم : الآيات (١٠-١١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾»[1]، فوقعت كلمة الأعز في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل كناية عن فريق المؤمنين، فأثبت الله في الرّد عليهم صفة العزّة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون، **والثاني** : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلّقه، مثل قوله تعالى : ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمومنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾[2].

ومن صور استدلال القرآن الاستدلال بالقياس، كقوله تعالى : ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾[3]، ففي هذه الآية : «دليل على صحة القياس، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب ... والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنه خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقهما كان من تراب»[4].

ومن ذلك استدلال القرآن على البعث والمعاد، فقد استدلّ القرآن بقدرة الخالق على الخلق أول مرّة على قدرته على إعادة الخلق مرّة أخرى، قال تعالى : ﴿**قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الـــــذي فطركم أوّل مرّة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا**﴾[5].

كما استدلّ القرآن بقياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى، قال تعالى : ﴿**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم**﴾[6].

وليس المقصود هنا استقصاء كل صور الاستدلال في القرآن الكريم، وإنما التأكيد على أن الاستدلال منهج سلكه القرآن وقرّره في كثير من المواضع، وقد نقل الإمام السيوطي عن بعض العلماء قولهم : «قد اشتمل القرآن العظيم على جميع

---

(١) سورة المنافقين : آية ٨.
(٢) سورة التوبة : آية ٦١.
(٣) سورة آل عمران : آية ٥٩.
(٤) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج ٢. جـ٤. ص ٦٦.
(٥) سورة الإسراء : الآيات (٥٠-٥١).
(٦) سورة يس : آية ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليّات المعلومات العقليّة والسمعيّة إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين »[1].

ثانيا : المنهج الإستردادي (التاريخي)

المنهج الاستردادي منهج يقوم على استرداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار[2]، ويعدّ هذا المنهج منهجاً مهماً لاتساع المجالات التي يستخدم فيها، فهو إلى جانب استخدامه في العلوم التاريخيّة والاجتماعيّة يستخدمه كثيرٌ ممن يكتبون في تاريخ العلوم على اختلافها للتأكد من معنى الحقائق القديمة وصدقها، والباحث يحتاج إلى تقويم ما وصل إليه الباحثون السابقون والقواعد التي قرروها والتي قد تساعده في معالجة مشكلته[3].

والبحوث التاريخيّة وصفيّة في جانب منها، إذ أنها تصف وتسجّل الأحداث والوقائع التي جرت في الماضي، وتحاول أن تصوّر الواقع كما هو، إلا أنها لا تقف عند مجرّد الوصف لمعرفة الماضي فحسب، وإنما تتضمن تفسيراً للأحداث بهدف الوصول إلى تعميمات تساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل[4].

ولما كان التاريخ أحداثاً مضت وانقضت فإن الباحث لايستطيع أن يلاحظها بنفسه، ولذا فإنّه يلجأ إلى (أفضل الشواهد) المتوافرة للحصول على المعلومات حول هذه الأحداث، ويقسمها بعض العلماء (ڤان دالين) : إلى :

أ- **مصادر أوليّة** : تتمثل في :

١- أقوال أشخاص أكفاء شهدوا الحوادث الماضية بعيونهم أو سمعوها بآذانهم.

٢- الأشياء الماديّة التي استخدمت في الماضي والتي يمكن فحصها مباشرة.

ب- **مصادر ثانويّة** : وهي ما كتبه بعض الأشخاص الذين لم يلاحظوا الأحداث أو يشاهدوها بأنفسهم، وإنما ربما تكون معلوماتهم منقولة عن آخرين[5].

وليس جمع المعلومات التاريخيّة والتثبت من صحتها أمراً هيّناً، كما أن المعرفة التاريخيّة ليست كاملة أبداً، يقول جوتشالك : « ... لم يتذكر أولئك الذين شهدوا الماضي سوى جزءٍ منه، ولم يسجلوا سوى جزءٍ مما تذكروه، ولم يبق مع

(١) السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. جـ٢. ص ٢٩٣.

(٢) عنايه، غازي. مناهج البحث العلمي في الإسلام. ص ١٠٥.

(٣) ڤان دالين، ديوبولد. ب. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٢٧٣.

(٤) عبدالحميد، جابر وخيري، أحمد. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٤١.

(٥) ڤان دالين، ديولد. ب. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٢٧٥-٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزمن سوى جزء مما سجّلوه، ولم يسترع نظر المؤرخين سوى جزء مما بقي مع الزمن؛ وجزء فقط مما استرعى نظر المؤرخين صادق، وما أمكن فهمهكان جزءاً فقط مما هو صادق، وجزء فقط مما فهمه يمكن للمؤرخ تفسيره أو روايته »[1].

ويرى بعض العلماء (ڤان دالين، ١٩٧٩) أن مادّة البحث التاريخي لابد وأن تتعرض لنوعين من النقد، **نقد خارجي** : يحاول المؤرخ عن طريقه أن يتأكد من صدق الوثيقة أو الأثر، وذلك ليقرر فيما إذا كان يمكن الاعتماد عليه كدليل في البحث. **ونقد داخلي** : ويتعلق بدرجة الثقة والصدق في مادة ومحتوى المصدر، ومن ذلك مدى ملاءمة لغة الوثيقة للزمن الذي يفترض أنها كتبت فيه، وهل تتفق مع الحقائق التاريخية والترتيب الزمني للأحداث؟، وهل تتوافق مع الأدلة الأخرى والوثائق التاريخيّة التي تتناول نفس الموضوع؟[2].

هذا بإيجاز بيان لمفهوم المنهج التاريخي كما يشرحه الباحثون المعاصرون، أمّا القرآن الكريم فقد أولى قضايا الإنسان، والاجتماع الإنساني أهمّية كبيرة، فالإنسان وغاية وجوده على هذه الأرض، وأطوار حياته وتقلباتها بين الإيمان والكفر كانت أحد الموضوعات الهامة في القرآن الكريم .

فقد تناول القرآن الكريم الوجود الإنساني على هذه الأرض منذ أن خلق الله -عز وجل- آدم عليه السلام، وامتد ليشمل الحياة الأولى للإنسان على هذه الأرض بدءاً بالأسرة وروابطها، وانتهاء بعوامل قيام المجتمعات وسقوط الأمم والحضارات، في امتداد عبر الزمان والمكان، ليشمل التاريخ الإنساني الطويل، لا في زمن واحد ولا في مكان واحد بل في جميع الأمكنة والأزمنة، وتمثل القصّة القرآنية الصورة الواضحة للمنهج التاريخي في القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أحداث الماضي وأخبار الأمم السالفة، بدءاً من قصة الوجود الإنساني على هذه الأرض، قال تعالى : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[3]، وقص علينا قصة نوح وإبراهيم ولوط واسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وصالح وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين في منهجيّة تاريخيّة لها سماتها المميّزة، بل إن القرآن أخبرنا بأحداث ستقع في مستقبل الأيام، قال تعالى : ﴿**غلبت الرّوم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهـــم**

---

(١) ڤان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٣٠١.

(٢) نفس المرجع السابق. ص ٢٨١-٢٨٣.

(٣) سورة البقرة: آية ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾»[1].

وقال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرّتين ولتعلُنّ علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الدّيار وكان وعداً مفعولاً ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة وليتبّروا ما علوا تتبيراً﴾[2].

وقد تكرر الأمر في كتاب الله - عز وجل - للسير في الأرض، والنظر في مصارع الأمم المكذبة وما حلّ بهم، قال تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[3]، وقال تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمـــون﴾[4].

والقرآن يدعو إلى النظر في آثار الأمم المكذّبة، والوقوف على ما وصلت إليه تلك الأمم من حضارة وعمران، وما حلّ بها من هلاك ودمار، لأخذ العبرة والعظة، قال تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لايرجون نشورا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين﴾[6].

والقرآن الكريم يعرض أحداث الماضي عرضاً هادفاً، فهو لا يدعو إلى السيّر في الأرض لمجرد جمع الأخبار، والتعرّف على قصص الأمم الغابرة، وإنما لتفسير هذه الأحداث، والانتفاع بها في صياغة حاضر الأمة ومستقبلها، فليس للأحداث التاريخيّة بذاتها قيمة ما لم يتوصل الباحث من خلال تحليلها وتفسيرها إلى اكتشاف ما فيها من مفاهيم ومن دروس تساعد في صياغة الحاضر، وتجنب ما وقع فيه السّابقون من

---

(١) سورة الروم: الآيات (١-٥).
(٢) سورة الإسراء: الآيات (٤-٧).
(٣) سورة الأنعام: آية ١١.
(٤) سورة الروم: آية ٩.
(٥) سورة الفرقان: آية ٤٠.
(٦) سورة القصص: آية ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عشرات؛ لبناء وتوجيه مسيرة الأمة في مستقبلها، قال تعالى : ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾»[1].

وقد أكد القرآن على الظاهرة السننيّة في أحداث التاريخ ومجرياته، وأكد هذا المبدأ تأكيداً جازماً، لأن القرآن كتاب هداية، وهذه الهداية تتطلب جهداً بشرياً، والجهد البشري خاضع لسنن التاريخ، ومن هنا فإن القرآن الكريم قد وضع إطاراً عاماً للسنن التي تحكم التاريخ[2].

والتأكيد على الظاهرة السّننيّة في حركة التاريخ، تدفع الباحث المسلم إلى مراعاة هذه السّنن وملاحظتها في بحثه، ممّا يعينه على تفسير أحداث التاريخ تفسيراً ينسجم مع سنن الله - عز وجل- في الحياة البشريّة، ويمكنه عند دراسة الظواهر والأحداث التاريخيّة ومقارنتها بالحاضر - من التنبؤ بالمستقبل-، وهذا ما يؤكده بعض المؤرخين الغربيين من أنهم «يستطيعون عن طريق القياس التاريخي وتتبع الاتجاهات التاريخيّة، أن يقترحوا في بعض الحالات عدداً من النتائج التي يمكن توقع واحدة أو أكثر منها بدرجة كبيرة من الاحتمال»[3]، والباحث المسلم أولى من غيره. بهذه القدرة على تتبع حركة التاريخ والتنبؤ باحتملات المستقبل، إذا تدبّر هذه السنن ووعاها وطبقها ضمن ضوابط سننيّة نبّه القرآن العقول عليها، قبل أن يعرف الغرب هذه المنهجيّة بقرون طويلة.

كما أن القرآن الكريم قد وضع أصول منهج النقد لأحداث التاريخ، وما ينقل عن أخبار الأمم الماضية، هذا النقد القائم على ضرورة التثبت من صدق الأخبار وصحة نسبتها إلى قائليها، وقد أكد القرآن هذه المنهجيّة عندما أشار في كثير من آياته إلى أن ما ذكره من أخبار وقصص وأحداث هو الصدق الذي لاشك فيه وأن غيره محض ظنون لا دليل عليها ولا برهان. قال تعالى : ﴿**وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين**﴾[4].

قال أبوالسعود في تفسير هذه الآية : «وقد صدّر بتحقيق كونه وحياً صادقاً من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الأحوال لا يتسنى إلا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين أنه بوحي من علّام الغيوب لا

---

(١) سورة يوسف : آية ١١١.

(٢) راجع : الصدر، محمد باقر. المدرسة القرآنيّة. ص ٤٢ وما بعدها.

(٣) فان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص.

(٤) سورة القصص : الآيات (٤٤-٤٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محالـة»[1]. قال تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم بذلك من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[2].

والقرآن يأمر بتحري الصدق فيما ينقل من أخبار، قال تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[3].

وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[4]، وفي هذه الآية دلالة صريحة على أن قبول الخبر منوط بعدالة الراوي فإن كان عدلاً قبلت روايته ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة تبطلها[5].

وهذا المنهج الذي يؤسسه القرآن الكريم يوجب على الباحث أن يتثبت من صدق ما ينقل إليه، وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد إشارة جليّة إلى وجوب التثبت، قال تعالى : ﴿وتفقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾[6]، فلم يتعجل سليمان عليه السلام في تصديقه، ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾[7].

والقرآن يشير إلى وجوب محاكمة الأخبار والروايات التاريخيّة محاكمة عقليّة للتأكد من صحتها، قال تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾[8]، إذ كيف يكون إبراهيم عليه السلام يهودياً أو نصرانياً والتوراة والإنجيل أنزلا من بعده بقرون طويلة، فهذا ظاهر في بطلان قولهم ودحوض حجتهم[9].

---

(١) أبوالسعود، تفسير أبي السعود. مج٤. جـ٧. ص ١٥-١٦.
(٢) سورة النساء : الآيات ١٥٧-١٥٨.
(٣) سورة الإسراء : آية ٣٦.
(٤) سورة الحجرات : آية ٦.
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. مج٨. جـ١٦. ص ٢٠٥.
(٦) سورة النمل : الآيات (٢٠-٢٢).
(٧) سورة النمل، الآية ٢٧.
(٨) سورة آل عمران : آية ٦٥.
(٩) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج٢. جـ٤. ص ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد استلهم المسلمون هذه التوجيهات القرآنيّة في دراسة التاريخ، فأقاموا قواعد المنهج التاريخي الذي يستند إلى التثبت من صدق الخبر وصحة نسبته إلى قائله ،ووضعوا لذلك قواعد وضوابط ظهرت في أكمل صورة في علم مصطلح الحديث، الذي قام على منهج دقيق في التثبت من صدق الخبر ونسبته إلى الرّسول -صلى الله عليه وسلم- وهو ما يطلق عليه الباحثون المعاصرون النقد الخارجي، وكذلك في نقد متن الحديث للتأكد من خلوه من علّة تقدح في نسبته إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو ما يسميه المعاصرون بالنقد الدّاخلي.

وقد استفاد علماء التاريخ المسلمون من هذه التوجيهات التي تدعو إلى تمحيص الأخبار، ودراستها وتحليلها على ضوء الضوابط والسنن التي وضعها القرآن لحركة المجتمعات، ورقيها وانحطاطها، وقيامها وأفولها، وقوتها وضعفها. فقام ابن خلدون بمحاولته المعروفة لدراسة التاريخ دراسة سننيّة، وبعد ذلك بأربعة قرون بدأت أوروبا تسلك هذا المنهج الذي ضيعه المسلمون ولم يستمروا في التوغل فيه[1].

ثالثا : منهج الملاحظة والتجربة

الملاحظة منهج يستخدم في كثير من العلوم، فهو يعدُّ المنهج الأساسي المستخدم في دراسة علم النفس، كما أنّه يعد الطريقة الوحيدة لدراسة الظواهر التي لا يمكن تحضيرها في المعمل، والتي يقصد فيها دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية[2].

والملاحظة عمليّة أساسيّة بالنسبة لجميع أنواع البحوث العلميّة، لأنها هي الوسيلة لجمع الحقائق، وذلك عن طريق الحواس، وهي في البحوث التجريبيّة تعدّ أداة رئيسية لاكتشاف الدلائل والمؤشرات التي تمكن الباحث من وضع الفروض النظريّة لحلّ المشكلة موضوع البحث، وعن طريقها أيضاً يستطيع الباحث أن يتوصل إلى الدلائل التي تؤيد الحلّ المقترح أو تبطله[3].

أمّا التجربة فهي ملاحظة مقصودة مقيّدة بشروط وظروف تجعل الظاهرة تحت مراقبة الباحث وسيطرته، فهي تغيير مقصود يحدثه الباحث في ظروف الظاهرة ثمّ يلاحظ ما يحدث ضمن هذه الظروف. وذلك أن العلم لو اقتصر في بحوثه على انتظار وقوع الظواهر حتي يلاحظها، فإن ذلك سيجعل تقدم العلم بطيئاً وقدرته على ضبط الظواهر وتوجيهها والتنبؤ بها ضعيفة[4].

---

(١) الصدر، محمد باقر. المدرسة القرآنيّة. ص ٧١-٧٢.

(٢) راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس. ص ٤٨-٤٩.

(٣) فان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٧٢.

(٤) راجه، أحمد عزّت. أصول علم النفس. ص ٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والملاحظة بوصفها جهداً بشرياً فهي محدودة، لأن قوى الإنسان وقدراته محدودة، فالملاحظة تتأثر بعدّة عوامل هي : الإنتباه والإحساس والإدراك والتصور، وهذه العوامل الأربعة عوامل مهمّة يتوقف عليها ما يتوصل إليه الباحث من نتائج وما يصل إليه من تعميمات[1]، فالإنتباه يعد حالة من التيقظ والتحفز تجعل الباحث قادراً على إدراك ما يريد إدراكه، وبدون ذلك ربما فاتته أشياء ذات قيمة وأثر كبير في البحث ونتائجه. والإنسان لا يستطيع أن يدرك أشياء متعدّدة في وقت واحد فإن ذلك فوق طاقته، قال تعالى : ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾[2]، فقد قيل في تفسير هذه الآية أن رجلاً من قريش اسمه جميل بن أسد الفهري كان يقول : إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر ممّا يفهم محمد، فروي أنه انهزم يوم بدر فمرّ بأبي سفيان وهو معلّق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له : ما فعل الناس؟ فقال ؟ : هم ما بين مقتول وهارب، فقال له : ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال : ما ظننت إلاّ أنهما في رجلي، فأكذب الله قوله وقولهم ...[3].

ولذا فالإنتباه والإحساس والإدراك والتصور كلها عمليات مهمّة جداً في الملاحظة، إذ يتوقف على مدى إنتباه الباحث وسلامة حواسّه، وقدرته على تفسير الظواهر، وتصوّره لمجريات التجربة، يتوقف على كل ذلك دقة الملاحظة والثقة في نتائجها.

والملاحظة قد تكون ملاحظة موضوعية لظواهر طبيعيّة أو اجتماعية خارجية، وإما أن تكون ملاحظة داخلية وهو ما يسمّى في علم النفس (الاستبطان) ، وهو ملاحظة الشخص لما يجري في شعوره من خبرات حسيّة أو عقليّة أو انفعاليّة ملاحظة تستهدف وصف هذه الحالات وتحليلها وتفسيرها، ومن أبسط صورها ما يقوم به الفرد من وصف ما يشعر به من تعب أو قلق أو نحو ذلك[4].

وهناك عدّة أمور ينبغي مراعاتها عند الحكم على أيّة ملاحظة منها[5] :

١- الموضوع المعني أي موضوع الملاحظة، فملاحظة الظواهر الطبيعية يختلف عن ملاحظة الظواهر النفسيّة أو الإجتماعية.
٢- الظروف والأحوال المحيطة بالتجربة أثناء الملاحظة.
٣- هل كانت الملاحظة عابرة أم مقصودة ؟
٤- الوضع الذهني للشخص الملاحظ وكفاءته العقليّة .

(١) راجع ڤان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٧٣-٧٨.
(٢) سورة الأحزاب. آية ٤.
(٣) الزمخشري. الكشّاف. ج٣. ص ٢٤٩.
(٤) راجح، أحمد عزت. أصول علم النفس. ص ٤٢.
(٥) ماندر، أ. اي. التفكير الواضح. ص ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- الفترة الزمنيّة بين الملاحظة وبين تسجيل الملاحظات.
٦- مقدار التأييد من قبل الملاحظين الآخرين.
٧- هل الحقيقة المصدقة منسجمة ومتناغمة مع معرفتنا العلميّة.

أما القرآن فقد تبيّن في الفصل الأول من هذه الدراسة أنه قد دعا دعوة متكررة إلى النظر والتفكر والتدبر، وشملت هذه الدّعوة النظر إلى الظواهر الكونيّة كلها من سماء وأرض وجبال وبحار وجماد ونبات وحيوان ورياح وسحاب ... وإن مساحة كبيرة من كتاب الله -عز وجل- تتحدث عن ظواهر كونيّة، وكثيراً ما يكون الحديث عن هذه الظواهر مبدوءاً بأمر صريح بالنظر والتفكر، أو مختوماً بهذا الطلب، كما أن الدّعوة إلى النظر والتفكر توجه الباحث إلى تأمّل كيفيّة تكوّن الظاهرة، قال تعالى: ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**ألم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده**﴾[4].

والسؤال بكيف يعبّرعن روح العلم ومنهجه، إذ المقصود معرفة كيفيّة تكون الظاهرة، والوصول إلى مبادىء عامّة وتعميمات لتفسير الظواهر والتنبؤ بها، وليس المقصود مجرّد رؤية بصريّة، وإنما رؤية فاحصة واعية لإدراك الظواهر وتفسيرها، بكل ما تشمله عمليّة التفسير من تصنيف للمدركات، وفهم للمتغيرات وإدراك العلاقات المختلفة بينها[5].

وقد وردت في القرآن الكريم آيات ذات دلالة منهجيّة في التجربة، منها قوله تعالـــى: ﴿**وإذ قال إبراهم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثمّ اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثمّ ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم**﴾[6].

---

(١) سورة الغاشية: الآيات (١٧-٢٠).
(٢) سورة ق: الآيات (٦-٧).
(٣) سورة الفرقان: آية ٤٥.
(٤) سورة العنكبوت: آية ١٩.
(٥) عبدالعال، حسن. مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية. ص ١٧٩-١٨٠.
(٦) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإن السؤال بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر عند السائل والمسؤول، ولكن إبراهيم عليه السلام طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به[1]، وهذه الآية إشارة جليّة إلى أن المسلم ينبغي له سلوك كل سبيل يوصله إلى المعرفة اليقينيّة، والتجربة من أهم الوسائل للوصول إلى هذه المعرفة.

وإبراهيم عليه السلام صاحب منهج في البحث، فإذا كانت الفروض هي خطوة مهمّة من خطوات المنهج التجريبي، فإنّ إبراهيم عليه السلام قد سلك هذا المسلك في محاجّة قومه، قال تعالى : ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلمّا جنّ عليه الليل رأي كوكباً قال هذا ربي فلمّا أفل قال لا أحب الآفلين، فلمّا رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلّما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلمّا أفلت قال يا قومي إني بريءٌ مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**﴾[2].

فإبراهيم عليه السلام قد جارى قومه في اعتقادهم بألوهية الأصنام والكواكب فقال ما قال على سبيل الفرض، ثم كرّ على هذه الفروض يبطلها واحداً واحداً، فإن الإله لايعتريه الانتقال من مكان إلى آخر، والآلهة المتغيرون من حال إلى حال، المحتجبون بالأستار، لا يستحقون الربوبيّة قطعاً[3]، فلّما ثبت بطلان هذه الفروض، انتقل إبراهيم عليه السلام إلى الفرض الصحيح وهو أن إله هذا الكون هو خالق الكون بكل ما فيه، وأن الكواكب والنجوم مخلوقات لله تعالى لا تستحق شيئاً من الألوهية.

والقرآن يرسم للمسلم منهجاً في البحث، ويوجهه إلى استخدام الطريقة المنهجيّة في التفكير، ومنهج الملاحظة والتجربة من المناهج التي وجه القرآن إليها، والمسلم مدعو إلى تفعيل قدراته في الملاحظة والنظر، وأن يكون في نظره مدقّقاً فاحصاً مجرّباً ليصل إلى الحق واليقين في شتى المعارف والعلوم.

---

(١) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج٢. جـ٣. ص ١٩٣-١٩٥.

(٢) سورة الأنعام : الآيات (٧٥-٧٩).

(٣) أبو السعود. تفسير أبي السعود. مج٢. جـ٣. ص ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : المنهج الإستقرائي

الاستقراء لغة التتبع من استقريت الشيء إذا تتبعته، والإستقراء في اصطلاح الفلاسفة. قول مؤلف من قضايا تشتمل على الحكم على الجزئيات لإثبات الحكم الكلي، أو هو الحكم على الكلي لوجوده في أكثر جزئياته[1].

فالإستقراء إذاً هو تتبع جزئيات ظاهرة من الظواهر للخروج بحكم عام كلّي ينطبق على جميع جزئيات هذه الظاهرة.

والإستقراء قسمان؛ استقراء تام وهو أن يتتبّع الباحث جميع الجزئيات ويستنتج من ذلك حكماً كلياً ينتظم جميع جزئيات الظاهرة موضوع البحث، واستقراء ناقص وهو أن يستدل ببعض أو بأكثر الجزئيات فقط ويحكم على الكل، وهذا النوع من الاستقراء يفيد الظن[2]، ويستخدم الباحثون في معظم دراساتهم الاستقراء الناقص وذلك لأنهم لا يستطيعون إخضاع جميع الجزئيات للبحث، وإنما يكتفون بفحص عدد من الجزئيات ممثلة لمجموع الجزئيات ثم يعممون نتائج بحثهم على جميع جزئيات الظاهرة[3].

ويقوم المنهج على مبدأين أو فكرتين، **الأولى** : مبدأ العلّية (السببية) وتتلخص في أن لكل معلول علّة، فالحكم يثبت في الأصل لعلّة كذا، **والثانية** : مبدأ الإطراد في وقوع الحوادث، وهو يعني أن حوادث الطبيعة مطّردة ، وأن العلّة الواحدة تنتج نفس المعلول إذا وجدت في ظروف مماثلة[4].

ويقرّ أصحاب المذاهب المختلفة بمبدأ العليّة، إلا أنهم اختلفوا في الطريق الموصلة إلى هذا المبدأ، فأصحاب المذهب العقلي يقولون بأن قانون السببيّة هو قانون عقلي أولي، ذلك أن العقل عندهم ليس قطعة من الشمع - كما يري الحسيّون - تشكلها التجربة، بل العقل يصوغ التجربة ويبوبها، بل يستطيع أن يصل إلى الأفكار والمفاهيم عن طريق ما ركز فيه من مبادىء فطرية[5]، ومن هذه المبادىء الفطريّة كما يقول (كانت) فكرة الزمان وفكرة المكان ومبدأ السببيّة، فيستطيع الإنسان بفكـــرة

---

(١) (٢) التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون. جـ٥. ص ١٢٢٩.

(٣) فان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٣٥.

(٤) النشار، على سامي. مناهج البحث عند مفكري الإسلام. ص ٩١.

(٥) زرزور، عدنان. مقالة في المعرفة. ص ٤١-٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزمان أن يرتب الآثار الحسيّة في تعاقب وتتابع، وبفكرة المكان يرتب الأشياء ترتيباً مكانياً يستطيع به إدراكها[1].

أما أصحاب المذهب الحسي فيرجعون مبدأ السببيّة إلى التجربة، وقالوا إن هذا القانون لا يتطرق إليه الشك، وذلك يعود إلى قانون تداعي المعاني بين فكرة العلّة والمعلول، والتجربة هي التي قوّته وجعلته يقينياً لا ظنياً، وذلك بتكرار الحوادث والتجارب، فقد لاحظ الناس في جميع الأجيال والعصور أشياء معلولة وأخرى عللاً لها، فأصبحت فكرة العلّة مقترنة بفكرة المعلول اقتران المتضايفين، لايفهم أحدهما إلا بالإضافة إلى الآخر.

ويرى الباحث زرزور أن قانون العلّية لايمكن إثباته بالتجربة، وقال إن تكرار الحوادث ليس ضرورياً لإثبات هذا المبدأ، فالعالم يستنتج الصلة السببيّة بين أمرين يحدثان في حادثة واحدة عند مشاهدته لها للمرّة الأولى، ولا يزداد يقيناً بهذه الصلة عند تكرار الحادثة، لأن علاقة السببيّة علاقة منطقيّة وليست نفسيّة[2].

ويرى الصدر أن الحس لايكتسب صفة موضوعية، إلا على ضوء هذا المبدأ فنحن نثبت الواقع الموضوعي لأحاسيسنا استناداً إلى مبدأ العليّة، فليس من المعقول أن يكون هذا المبدأ مديناً للحسّ في ثبوته، ومرتكزاً عليه، بل هو مبدأ عقلي يصدق به الإنسان بصورة مستغنية عن الحسّ الخارجي[3].

أما المبدأ الثاني من مبادىء الاستقراء وهو مبدأ الإطراد في حوادث الطبيعة، فإن الإنتظام في هذا الكون أمر لا خلاف عليه، إذ إن هذا الإنتظام هو الذي يجعل الباحثين يبذلون جهدهم في البحث والنظر، ولا قيمة لبحثهم إذ كانت الحوادث تجري بطريقة عشوائية.

وهذا الانتظام والإطراد في حوادث الكون هو الذي يمكن الإنسان من التعرّف على حقائق هذا الكون، ويفصل (ماندر) هذا المبدأ بقاعدتين[4]. الأولى : أن عالم الحقيقة متناسق، وأن جميع حقائق الكون متماسكه، ولايمكن أبداً أن تكون الحقائق متناقضة أو متعارضة.

---

(١) نفس المرجع السابق. ص ٤٤.
(٢) نفس المرجع السابق ص
(٣) الصدر، محمد باقر. فلسفتنا. ص ٢٢٦.
(٤) ماندر، أ. اي. التفكير الواضح. ص ٥٨-٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية : أن عالم الحقيقة نظام كامل متناغم، ليس مختلطاً ولا مشوّشاً، وتتوضح الحقيقة إذا ظهر توافقها وتطابقها مع منظومة الحقائق الأخرى، وأنها جزء من نظام متكامل ومتناسق.

والإنسان بفطرته يكره الفوضى والإضطراب، ويميل لتنظيم المثيرات التي يتعرّض لها، فهو حتى بالنسبة للإدراك الحسّي للأشكال الناقصة أو الغامضة، يقوم تلقائياً بإكمالها حتى يصبح الشكل مألوفاً كدائرة أو مثلث أو أي رمز آخر له معنى مألوف بالنسبة له[1].

والقرآن الكريم يعرض حوادث الكون عرضاً مترابطاً منتظماً ومطرداً، والآيات التي يصف فيها القرآن حوادث الكون يظهر منها بوضوح هذا الإنتظام والترابط، والقرآن يشير بوضوح إلى أنها تتبع سنناً مطردة في حدوثها[2]، والآيات التي تشير إلى هذا الانتظام كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمسُ تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون**﴾[3].

فاستعمال الفعل المضارع (تجري) في هذه الآية يدلّ على الاستمرار والثبات، كما أن الآية تشير إلى الانتظام في حوادث الكون وذلك في قوله تعالى : ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ أي إن لكلٍّ مداره الذي يجري فيه فلا اضطراب ولا فوضى[4]، وقال تعالى : ﴿**الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير**﴾[5]، فإنك مهما حاولت أن تجد في خلقهن اختلافاً فإنك لن تجد، ثم يأمر الله عز وجل الإنسان بمعاودة النظر مرة بعد أخرى لارتياد الخلل، لكنه لن يجد وسيرتد إليه بصره محروقاً من إصابة ما التمسه من العيب والخلل، كأنّه يطرد من ذلك طرداً بالصّغار والقماءة[7].

---

(١) بدري، مالك. التفكر من المشاهدة إلى الشهود. ص ١٠٢.

(٢) المبارك، محمد. الإسلام والفكر العلمي. ص ٢٩.

(٣) سورة يس : الآيات (٣٧-٤٠).

(٤) المبارك، محمد. الإسلام والفكر العلمي. ص ٣٠.

(٥) سورة الملك : الآيات (٣-٤).

(٧) أبو السعود. تفسير أبي السعود. مج٩. جـ٩. ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يشير القرآن إلى أن حوادث الكون وظواهره تجري بحساب وبمقادير مقدّرة، قال تعالى : «إنا كل شيء خلقناه بقدر»[1]، قال القرطبي : «الذي عليه أهل السنّة أن الله -سبحانه - قدرّ الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنّه يوجده على نحو ما سبق في علمه ...»[2]، وقال تعالى : ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض﴾[3]، وقال تعالى : ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾[4]، وقال تعالى : ﴿وخلق كل شيءٍ فقدّره تقديراً﴾[5].

«وعلى هذا يكون القدر هو تقدير الله لحوادث المخلوقات أي لخلقها وحياتها وأعمالها وفقاً لحساب مقدّر ولكميّات محسوبة ثم يأتي تنفيذ ذلك وفقاً لحسابه - سبحانه - وتقديره وهو القضاء»[6].

ونظام الكون يجري في دقة وإحكام، وحركة الأفلاك والكواكب ليست مضبوطة بالساعة والدقيقة، بل بسرعة الضوء الذي يقطع مسافة (١٨٦) ألف ميل في الثانيـــة[7]، قال تعالى : ﴿وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمـــون﴾[8].

كما أشار القرآن إلى مظاهر التشابه والإختلاف في الظواهر الكونيّة، وهذا ما يؤدي إلى الوصول إلى فكرة التصنيف، قال تعالى : ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرّمان متشابهاً وغير متشابه﴾[9].

---

(١) سورة القمر : آية ٤٩.
(٢) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج٩. جـ١٧. ص ٩٦.
(٣) سورة المؤمنون : آية ١٨.
(٤) سورة المزمّل : آية ٢٠.
(٥) سورة الفرقان : آية ٢.
(٦) المبارك، محمد. الإسلام والفكر العلمي. ص ٣١.
(٧) قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية. جـ١. ص ٧٩.
(٨) سورة يونس : آية ٥.
(٩) سورة الأنعام : آية ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى : ﴿والله خلق كلّ دابّة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾[1].

أمّا مبدأ العلّة فإن القرآن الكريم يشير في كثير من آياته إلى الاقتران والترابط في حوادث الكون، وأن بعضها تبع لبعض من ذلك قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرّياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾[2]، قال القرطبي : «ومعنى لواقح بمعنى ملقحة وهو الأصل ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأن الرّيح لقحت بخير. وقيل : ذوات لقح، وكل ذلك صحيح، أي منها ما يلقح الشجر ... ومنها ما تأتي بالسحاب...»[3].

وقال تعالى : ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كلّ الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[4]، أي ينبت لكم بما أنزل من السماء الزرع والزيتون ... واستخدام صيغة الاستقبال للدلالة على التجدّد والاستمرار وأنها سنّنة الجاريّة على مرّ الدّهور[5]، واستخدام حرف الباء في قوله تعالى : ﴿ينبت لكم به﴾ يشير إلى الإرتباط السببي كما أورد النحاة أن من معاني الباء السببيّة، وأرجعوا معانيه كلها إلى الإلصاق أي الاقتران المطرف[6].

وهذه العلّية لا تنتظم ظواهر الكون فقط وإنما تشمل حياة الناس أيضاً، يقول تعالى : ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾[7]، قال أبو السعود : «أي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغيّر نعمة أنعم بها (على قوم) من الأقوام أيّ نعمة كانت جلّت أو هانت (حتى يغيّروا ما بأنفسهم) من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السّابقة مرضية صالحة أو قريبة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة ... وبسبب أنه تعالى سميع عليم يسمع

---

(١) سورة النور : آية ٤٥.
(٢) سورة الحجر : آية ٢٢.
(٣) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.مج٥. جـ١. ص ١٢.
(٤) سورة النحل : الآيات (١٠-١١).
(٥) أبوالسعود. تفسير أبي السعود. مج٣. جـ٥. ص ١٢.
(٦) المبارك، محمد. الإسلام والفكر العلمي. ص ٥٢.
(٧) سورة الأنفال : آية ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الأقوال والأفعال السابقة واللاحقة فيترتب على كل منها ما يليق بها من إبقاء النعمة وتغييرها...»[1].

وهذا الترابط في حوادث الكون إنما هو بتقدير من الخالق، فهو الذي قدّرها على هذا النحو، والأسباب والمسببات من خلق الله -عز وجل-، وهذا الترابط منوط بإرادة الله تعالى، وليس في ذلك ما يجعل هذا الترابط ترابطاً ضرورياً ضرورة مطلقة ذاتية، وليس في هذا التلازم ما يدفع إلى الاعتقاد بأن إحدى الحادثتين سبباً موجداً وعلّة خالقة للحادثة الأخرى، فهذا التلازم بين العلّة والمعلول يعود إلى تقدير الله -عز وجل-، والعلّية الحقيقية موجودة في أصل الخلق الذي هو من فعل الله وحده دون سواه[2].

إن القرآن الكريم يستخدم مفهوم الإنتظام في الكون، وارتباط حوادثه ببعضها دليلاً لإثبات حقيقة وجود الله تعالى، وأن لهذا الكون خالقاً يمسكه ويدبّره فإن «كلّ تعليل لحوادث الطبيعة بقانونها تعليل ناقص، لأن القانون واقع يحتاج إلى تعليل، وليس القانون موجداً للحادثة من العدم ولا يتصف بالوعي الهادف، وكل افتراض لقوّة كامنة أو خفيّة إن صح فهو ناقص يحتاج إلى تعليل هذه القوّة الكامنة غير الواعية ولا العاقلة، ولذلك كان الإيمان بالله الخالق متمّماً ومكملاً لنظرتنا إلى الكون والطبيعة وما فيها من حركة وتطور ومن سنن وقوانين، فهي محتاجة إلى وجوده، مفتقرة إلى استمرار إمداده وعنايته، مؤتمرة في مسيرها وكيانها بأمره»[3]، قال تعالى : ﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً**﴾[4]، وقال تعالى : ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنّوم سباتاً وجعل النهار نشوراً**﴾[5].

وقد استخدم القرآن منهج الاستقراء في إبطال دعوى المشركين في أمر البحيرة وما ذكر معها، وقولهم : «ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا»[6] [7]، وذلك في قوله تعالى : ﴿**ثمانية أزواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرّم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئوني بعلم إن كنتم**

(١) أبوالسعود، تفسير أبي السعود. مج٢. جـ٤. ص ٢٩.
(٢) راجع : المبارك، محمد. الإسلام والفكر العلمي. ص ٥٢-٦٠.
(٣) المبارك، محمد. نظام الإسلام : العقيدة والعبادة. ص ٥٢.
(٤) سورة فاطر : آية ٤١.
(٥) سورة الفرقان : الآيات (٤٥-٤٧).
(٦) سورة الأنعام : آية ١٣٩.
(٧) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. مج٤. جـ٧. ص ٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صادقين، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1]، فإن الله -عز وجل- قد رد قولهم ببيان أنه سبحانه - خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمن أين جاء التحريم، وما علّته؟ أهي الذكورة ؟ أم الأنوثة؟ أم اشتمال الرّحم الشامل لهما؟ أو لا يدرى له علّة؟ أوذلك بأخذه عن الله تعالى، وذلك لايكون إلا بوحي وإرسال رسول. فهذه علل التحريم لاتخرج عن واحدة منها، والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً، والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً. والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً، فبطل بذلك ما فعلوه من تحريم البعض تارة والبعض تارة، أمّا الأخذ عن الله فلم يدّعوه ولم يأتهم رسول قبل محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإذا بطل جميع ذلك فقد بطلت دعواهم وأن ما قالوه محض افتراء[2].

وقد استخدم المسلمون هذا المنهج، ووضعوا له قواعده وأصوله التي يعود إليهم الفضل في تقريرها، فقد قرروا للعلّة شروطاً، وبحثوا في القوانين التي يمكن بواسطتها التحقق من وجود العلّة في الأصل والفرع، وقد تبلور هذا المنهج أولاً على أيدي علماء الأصول، ثم انتقل إلى مختلف الدوائر العلميّة[3]، وذلك استجابة لمنهج القرآن الذي أسس أصول هذا المنهج ووضع مبادئه.

وأخيراً فإن التفكير المنهجي الذي يسلك طرائق منظمة في الوصول إلى الحقيقة، في أي مجال من مجالات المعرفة، هو التفكير المستنير المنظم الذي جاء القرآن يهدي إليه ويوجه العقول إلى اتباعه. وإن التفكير الخرافي أو التفكير الاجتراري أو التخيّلي مرفوض في منهج القرآن. لأن القرآن يدعو إلى التفكير الواعي المقصود والهادف للوصول إلى الحقائق والاهتداء إلى الصواب في كل القضايا العلميّة والمعرفيّة في مختلف مجالات النشاط الإنساني الاجتماعي والتجريبي والاقتصادي وغيرها.

كما أن القرآن يدعو الإنسان إلى التحرّر من العوائق والقيود التي تحدّ من التفكير وتحول بينه وبين الوصول إلى الأحكام الصائبة. فإذا ما تمّ له ذلك فإنه سينطلق يكتشف ويخترع دون أن يقيده قيد أو يقف أمامه عائق. وسيصبح الوجود كله مجالاً للتفكير والنظر والتدبّر. ولن يقف عند الظواهر الحسيّة وإنما سينتقـــل

---

(١) سورة الأنعام : الآيات (١٤٣-١٤٤).

(٢) السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. جـ٢. ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) راجع : النشار، علي سامي. مناهج البحث عند مفكري الإسلام. ص ٩٠ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقلة عظيمة للتفكير فيما وراء المحسوسات ليصل إلى الإيمان الخاشع الذي مدح الله به العلماء من عباده بقوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

وقد اشتمل القرآن الكريم على قواعد كلية ومبادىء عامة يمكن الاستناد إليها في تنمية التفكير، إلا أن وضع برامج تفصيلية لتنمية التفكير يحتاج إلى جهود العلماء والباحثين إستناداً إلى هذه المبادىء والقواعد العامة، وهذا يستدعي إعادة قراءة القرآن الكريم قراءةً واعيةً من أجل هذه الغاية، وإذا ما تظافرت جهود الباحثين في هذا المجال فإن الوصول إلى برامج متكاملة سيكون أمراً مؤكداً بإذن الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة فاطر : آية ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

النتائـــــــــــج :

كشفت الدراسة عن النتائج التالية :

١- أن العقل في القرآن لم يرد بصيغة المصدر إنما ورد بصيغة الفعل ولذا فهو ليس شيئاً مادياً وإنما يعرف العقل بوظيفته في التعقل والإدراك والتفكر والتدبر ...*، وهذا ما ينبغي أن يتمّ التركيز عليه، وأن أي انشغال بالبحث في حقيقة العقل ومكانه من الإنسان إنما هو إنشغال بأمر لافائدة كبيرة ترجى منه، إنما ينبغي أن ينصبّ الاهتمام على فعل العقل ودوره في حياة الإنسان، وهذا هو الجانب المؤثر في حياة الإنسان وسلوكه.

٢- ورد في القرآن الكريم ذكر عدد من العمليّات العقليّة كالتفكر والتذكر، التدبّر، والفقه، والاعتبار والقرآن الكريم لم يصنّف هذه العمليات العقلية ولم يبيّن درجاتها، وهي عمليات مترابطة متكاملة هادفة، ولذا فإن التفكير في القرآن عمليّة عقليّة شاملة لمختلف أنواع النشاط العقلي للإنسان.

٣- اهتمّ القرآن الكريم بالحواس كوسيلة من وسائل التفكير اهتماماً كبيراً ويدلّ على ذلك كثرة ذكرها في القرآن الكريم، والدعوة إلى توجيهها توجيهاً مقصوداً للإدراك والفهم، والربط بينها وبين العقل والفؤاد في كثير من آيات الكتاب الكريم، وتشبيه الذين يعطلون حواسهم بالأنعام.

٤- منّ الله عز وجل في كتابه العزيز على الإنسان بتعليمه البيان وفي هذا إشارة إلى قيمة اللغة، ودورها في التواصل ونقل المعرفة، ووصف الله عز وجل -القرآن بأنّه عربي وفي هذا دلالة على منزلة العربيّة وخصائص اللسان العربي، وضرورة العناية باللغة لأنها وسيلة التفكير والمعبّرة عن محصول الفكر والنظر.

---

* وهذا يتفق مع آراء كثير من الباحثين الذين كتبوا عن العقل في القرآن مثل. الكردي، راجع. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة. ص ٥٥١-٥٥٤. والخطيب، عبدالكريم. الإنسان في القرآن. ص ٢٧-٤٠، ومبمي، هدى. التربية العقلية في القرآن.ص ١٠٦ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- اشتمل القرآن الكريم على توجيهات لتنمية التفكير تتمثل فيما يلي :

أ- تحرير التفكير من العوائق : والعوائق التي تعيق التفكير كثيرة منها : التقليد الأعمى واتباع الهوى والكبر والأوهام والخرافات واتباع الظن والقرآن يدعو إلى نبذ جميع هذه العوائق والتخلص منها.

ب- اتباع قواعد منهجية لتنمية التفكير ، من هذه القواعد:

١- إثارة الدافع للتفكير والقرآن يحرض على التفكير ويثير الإنسان كي يفكر فيما حوله.

٢- التوجيه المقصود للإنتباه والقرآن يذمّ الغافلين ويدعو إلى الانتباه المقصود للظواهر والأشياء والتفكير فيها.

٣- تنمية القدرة على التخيل والقرآن يثير القدرة على التخيل والتصور ، ولذلك دور كبير في تنمية التفكير.

٤- تنمية المهارات اللغويّة : فاللغة هي وسيلة التفكير، وكثير من التحسن في التفكير إنما يحدث نتيجة لاكتساب المهارات اللغويّة.

٥- تحسين البيئة الماديّة والنفسية للفرد وذلك بتوفير الاحتياجات الماديّة للإنسان وتوفير بيئة نفسية سليمة تساعد على التفكير السليم.

٦- الإحاطة بجميع المفاهيم والمعلومات المتعلقة بموضوع التفكير والقرآن ينهى عن الحكم المتسرع قبل الإحاطة بالأمر من جميع جوانبه.

جـ- وضع أصول المبادىء المنهجية في البحث العلمي، وذلك أن التفكير في الحقيقة هو القدرة على جمع المعلومات وتمحيصها، والقرآن قد اشتمل على أصول المناهج العلمية في البحث عن الحقيقة ومن هذه المناهج : المنهج الاستدلالي والمنهج الاسترادي ومنهج الملاحظة والتجربة والمنهج الاستقرائي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوصيات

في ضوء النتائج السابقة فإن الدراسة توصي بما يلي :

١- ضرورة إعادة النظر في أساليب تعليم وتعلّم القرآن الكريم، وعدم الوقوف في تعليم القرآن عند مجرّد اتقان التلاوة والحفظ، بل لابدّ من أن يجمع إلى ذلك الفهم والتدبّر، وأن يشجع المتعلمون على فهم الآيات وإدراك مقاصدها حسب استطاعتهم، وأن يشجعوا على البحث للتعرّف على معاني الآيات، من أجل أن يساهم القرآن في تكوين شخصياتهم وليكون جزءاً أصيلاً من بنائهم الثقافي.

٢- إيلاء القضايا المتعلقة بالتفكير والنظر والتدبر في القرآن الكريم اهتماماً أكبر في مناهج التعليم، وإيراد الآيات الدّاعية إلى استخدام العقل في جميع المناهج الدراسيّة والربط بين الجوانب المختلفة وبين القرآن الكريم، وذلك لإزالة الفصام القائم في المناهج بين العلم والإيمان.

٣- الأخذ بالتوجيهات التي تمّ التوصّل إليها في هذه الدراسة من أجل تنمية التفكير كهدف تربوي، وأخذ هذه التوجيهات والمبادىء بعين الاعتبار عند صياغة المناهج التربويّة.

٤- تبني الاتجاه العلمي في التفكير، واعتماد منهج البحث العلمي كطريقة في التربية والتعليم، مع ضرورة الانتفاع بالتوجيهات القرآنية في هذا المجال.

٥- اجراء دراسات حول أثر السنة النبويّة في توجيه التفكير وتنميته.

٦- إجراء دراسات تربويّة تستنير بهدي القرآن، وخاصّة فيما يتعلق بالقضايا التربوية المعاصرة، وضرورة التأصيل الإسلامي للمعرفة التربويّة المعاصرة، إذ إن هناك جوانب كثيرة تلتقي فيها التربية المعاصرة مع التربية الإسلامية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت الآيات

الآيـــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ...»	٤٤	البقرة	١٩
- «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم ...»	٦٢-٦٥	الصافات	١٠١
- «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه..»	٧٥	البقرة	١٨
- «أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون...»	٦٣-٧٠	الواقعة	٥٧
- «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ...»	٢٣	الجاثية	٨٦
- «أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ...»	٨٧	البقرة	٨٦
- «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ...»	٢٤	محمد	٣٩و٤٣
- «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ...»	٨٢	النساء	٤٠
- «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ...»	١٧-٢٠	الغاشية	٩٩و١١٩
- أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ....»	٤٦	الحج	٢٤
- «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ...»	١٠٩	يوسف	٣٨
	٨٢	غافر	٣٨
- «أفلم يدبّروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ...»	٦٨	المؤمنون	٤٠
- «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ...»	٦-٨	ق	٣٨
- «أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ...»	١٧	النحل	٣٦
- «أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ..».	١٩	الرّعد	٣٦
- «ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً»	٤٥	الفرقان	١١٩ و١٢٦
- «ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثمّ يؤلف بينه ...»	٤٣-٤٤	النور	٥٨
- «ألم نشرح لك صدرك ...»	١	الشرح	٢٤
- «ألم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثمّ يعيده»	١٩	العنكبوت	١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «ألم يك نطفة من منىّ يُمنى...»	٣٧-٤٠	القيامة	٩٨
- «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ...»	٤٤	الفرقان	٦٢ و ٢١
- «أم تأمرهم أحلامهم بهذا ...»	٣٢	الطور	٢٧
- «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ...»	٣٥-٣٦	الطور	١٠٩
- «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ...»	٢	يوسف	٧٣
- «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ...»	٢	الإنسان	٥٠
- «إنا كلّ شيء خلقناه بقدر»	٤٩	القمر	١٢٤
- «إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»	٩	الحجر	١
- «إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب»	٧٥	هود	٢٧
- «إن الإنسان خلق هلوعاً ...»	١٩-٢٢	المعارج	٤٧
- «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض...»	٥٤	الأعراف	٩١
- «إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتّح لهم أبواب السماء ...»	٤٠	الأعراف	٧٨
- «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً ...»	٥٦	النساء	٥١
- «إن الذين لايرجون لقاءنا ...»	٧-٨	يونس	٦٥
- «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ...».	٤	الحجرات	٢١
- «إن السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً»	٣٦	الإسراء	٢٦ و ٥٢
- «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات ...»	١٩٠-١٩١	آل عمران	٩٦
- «إن في ذلك لآيات لأولى النّهى ...»	٥٤ -١٢٨	طه	٢٧
- «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ...»	٣١	ق	٢٤و٣٦
- «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ...»	٤١	فاطر	١٢٦
- «إنما يخشى الله من عباده العلماء»	٢٨	فاطر	١٢٨
- «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ...»	٥٩	آل عمران	١١١
- «إنّه فكّر وقدّر فقتل كيف قدّر ...»	١٨-١٩	المدثر	٣٢ و ٣٤ و ٨٨
- «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ...»	٢٣	النجم	٨٧
- «إني ظننت أني ملاق حسابيه»	٢٠	الحاقة	٩٢
- «إني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ...»	٦٣	الكهف	٣٥
- «أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء ...»	٢٠	هود	٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ...»	٨	الرّوم	٣٤ و ٤٧
- «أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنّة ...»	١٨٤	الأعراف	٣٤
- «أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ...»	٩	الروم	١١٤
- «أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ...»	١٨٥	الأعراف	٣٧
- «أو ليس الذي خلق السوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم...»	٨١	يس	١١١
- «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة..»	٧٨	النساء	٤٧
- «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه...»	٣٩	يونس	١٠٥
- «ثمانية أزواج من الضأن اثنين...»	١٤٣-١٤٤	الأنعام	١٢٧
- «ثمّ سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار»	٩	السجدة	٥٢
- «خلق الإنسان علّمه البيان »	٣-٤	الرحمن	٦٧
- «الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين..»	٧-٩	السجدة	٦٠
- «الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ...»	٣-٤	الملك	٣٩ و ١٢٣
- «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ...»	٢٨	الرّعد	١٠٤
- «الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم...»	٣٥	غافر	٨٨
- «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم...»	٥٣	الأنفال	١٢٥
- «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم...»	٣	المنافقون	٤١
- «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ...»	٢-٥	البقرة	٧٧
- «الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان ...»	١-٤	الرحمن	٦٦
- «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ...»	٤٦	الأعراف	٩٨
- «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ...»	٥٣	فصلت	١١٠
- «غلبت الرّوم في أدنى الأرض ...»	١-٥	الروم	١١٤
- «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ...»	٩٢	يونس	٦٥
- «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ...»	١٧٦	الأعراف	٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «فإنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصمّ الدعاء ...»	٥٢-٥٣	الروم	٥٦
- «فبشرناه بغلام حليم ...»	١٠١	الصّافات	٢٧
- «فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ...»	٩١-٩٦	الصافات	٩١
- «فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً»	١١	الكهف	٥٣
- «فلّما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ...»	٢٢	الأعراف	٥٢
- «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ...»	١٢٢	التوبة	٤١
- «فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ...»	٢٤-٣٢	عبس	٣٨
- «فلينظر الإنسان ممّ خلق ...»	٥	الطارق	٣٨ و ٤٧
- «فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به ...»	٢٢	النمل	١٠٥
- «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض ...»	٢٢-٢٤	محمد	٤٥
- «قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت..»	٦٣	الكهف	٣٧
- «قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم ...»	٦٦-٦٧	الأنبياء	١٨و ٤٧
- «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ...»	١٤	الحجرات	٧٦
- «قال الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم...»	٢٤٩	البقرة	٩٢
- «قال ربّ المشرق والمغرب إن كنتم تعقلون ...»	٢٨	الشعراء	٢١
- «قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ...»	٢٧	النحل	٣٩ و ١١٦
- «قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ...»	٦١-٦٥	الأنبياء	٩٧
- «قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا ...»	١٠-١١	إبراهيم	١١٠
- «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ...»	١٣٧	آل عمران	٤٦
- «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ...»	٧١-٧٢	القصص	٥٥
- «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا...»	٤٦	سبأ	٣٣ و ٨٥
- «قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ...»	١٥١	الأنعام	٢٠
- «قل سيروا في الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذبين»	١١	الأنعام	١١٤
- «قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم»	٥٠-٥١	الإسراء	١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «قل هاتوا برهانكم إن كنت صادقين ...»	١١١	البقرة	٨٣ و١٠٩
- «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ...»	٢٩	طه	٤٠ و ٤٣
- «كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ...»	٣	فصّلت	٧٣
- «كذلك نثبت به فؤادك ...»	٣٢	الفرقان	٢٤
- «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»	١٤	المطففين	٢٥
- «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب..»	١١١	يوسف	٤٢ و ٤٦ ١١٥
- «الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون..»	٧٩-٨١	غافر	٩٧
- «الله الذي خلق السموات والأرض وما بينها في ستة أيام ...»	٤	السجدة	٣٦
- «الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه ...»	١٢-١٣	الجاثية	٤٥
- «الله نور السموات الأرض مثل نوره كمشكاة ...»	٣٥	النور	١٠١
- «لهم قلوب لايفقهون بها ...»	١٧٩	الأعراف	٤١
- «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً ...»	٢١	الحشر	٣٤
- «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ...»	٢٢	الأنبياء	١١٠
- «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً...»	١٢	النور	٩٣
- «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم»	٦١	النور	١٩
- «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ...»	٢٢-٢٣	الحديد	١٠٤
- «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»	٤	الأحزاب	١١٨
- «ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ...»	١٣٩	الأنعام	١٢٦
- «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل ... »	٧٥	المائدة	٣٩
- «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ..»	٢٤	هود	٣٦
- «هل في ذلك قسم لذي حجر»	٥	الفجر	٢٧
- «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم ...».	٢	الحشر	٤١
- «هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ...»	١٠-١٣	النحل	٤٣ و ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ...»	٢	الجمعه	١
- «هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل...»	٥	يونس	١٢٤
- «واتبعت ملّة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب..»	٣٨	يوسف	٨٤
- «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ...»	١٧٥-١٧٦	الأعراف	٣٤ و ٧٦
- «وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً ...»	٧	لقمان	٨٩
- «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ...»	٢٠٤	الأعراف	١٠٠
- «واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها...»	٣٢	الجاثية	٩٢
- «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ...»	١٧٠	البقرة	٨٣
- «وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت»	٩٠٨	التكوير	٩٧
- «وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى...»	٢٦٠	البقرة	١١٩
- «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...»	٣٠	البقرة	١١٣
- «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ...»	٢٦	الأنفال	٣٧
- «وأرسلنا الرّياح لواقح...»	٢٢	الحجر	١٢٥
- «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين...»	٤٥-٤٦	البقرة	٩٢
- «وأفئدتهم هواء»	٤٣	إبراهيم	٨٥
- «وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى »	١٣	طه	٥٣
- «وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنّاه في الأرض»	١٨	المؤمنون	١٢٤
- «وإن لكم في الأنعام لعبرة ...»	٢١	المؤمنون	٤٢
- «وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين...»	١٩٢-١٩٥	الشعراء	٧٣
- «وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم..»	٤٤	الطور	٨٩
- «وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم...»	٧	نوح	٨٩
- «وأوحى ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً..» النحل	٦٨-٦٩		٣٣
- «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ...»	٣٧-٤٠	يس	١٢٣
- «وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون»	١٩٨	الأعراف	٢ و ٣٨
- «وتفقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ...»	٢٠-٢٢	النمل	١١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون».	٤٣	العنكبوت	١٨و ٢١
- «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ...»	١٤	النمل	٨٩
- «وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون»	٧٨	النحل	٢٦
- «وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ...»	٢٥	الأنعام	٤١ و ٤٣
- «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ...»	١٩	الزخرف	١.٩
- «وحاجّه قومه قال أتحاجّوني في الله وقد هدان...»	٨٠-٨١	الأنعام	٩٧
- «وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً»	٢	الفرقان	١٢٤
- وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ...»	٥٥	الذاريات	٣٥
- وسخرّ لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرّات بأمره ...».	١٢	النحل	٢٠
- «وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً»	١٢	الفتح	٩٣
- «وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة ...»	٣١-٣٣	البقرة	٦٧
- «وفي الأرض آيات للموقنين ...»	٢٠-٢١	الذاريات	٤٧
- «وفي أنفسكم أفلا تبصرون ...»	٢١	الذاريات	٣٨
- «وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ...»	٨٨	البقرة	٢٥
- «وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه ...»	٥	فصّلت	٢٥ و ٦٣
- «وقالوا لاتنفروا في الحرّ ...»	٨٢	التوبة	٤١
- وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة...»	٨٠	البقرة	١.٩
- «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير».	١٠	الملك	١٨ و ٢٢ و ٨٠
- «وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا...»	٢٤	الجاثية	٩٢
- «وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرّتين...»	٤-٧	الإسراء	١١٤
- «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم...»	١٥٧-١٥٨	النساء	١١٦
- «وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها ...»	٢٣	الزخرف	٨٣
- «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ...»	٧٥-٧٩	الأنعام	١٢٠
- «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ...»	٥٨	القصص	١١٤
- «ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء ...»	٦٣	العنكبوت	٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «ولا تقف ما ليس لك به علم ...»	٣٦	الإسراء	٦٠ و ١٠٥ و ١١٦
- «ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون»	٢١	الأنفال	٢
- «ولا تمدّنّ عينيك إلي ما متعنا به أزواجاً منهم...»	١٣١	طه	١٠٣
- «ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء..»	٤٠	الفرقان	٩٩ و ١١٤
- «ولقد تركناها آية فهل من مدّكر ...»	١٥	القمر	٣٦
- «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ...»	١٧٩	الأعراف	٦١
- «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه ...»	١٥٢-١٥٣	آل عمران	٧٨
- «ولقد مكناهم فيما إن مكنّا كم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ....»	٢٦	الأحقاف	٢٦ و ٥٢
- «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ...»	٧٨	النحل	٥٥
- «والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها...»	٦٥	النحل	٥٨
- «والله خلق كل دابّة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه...»	٤٥	النور	١٢٥
- «والله يقدّر الليل والنهار»	٢٠	المزمّل	١٢٤
- «ولمّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ...»	١٥٠	الأعراف	٦٣
- «ولمّا فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف ...»	٩٤	يوسف	٥٢
- «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى...»	١٢٠	البقرة	٨٦
- «وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ...»	٢٠٩	الشعراء	٣٦
- «وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ...»	٦٠	القصص	١٠٣
- «وما شهدنا إلا بما علمنا»	٨١	يوسف	٨٣
- «وما قدروا الله حق قدره ...»	٩١	الأنعام	١٠٩
- «وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ...»	٤٤-٤٥	القصص	١١٥
- «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ...»	٤٨	العنكبوت	٥٧
- «وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ...»	٢٨-٣٠	النجم	٩٣
- «وما يتبع أكثرهم الا ظنا...»	٣٦	يونس	٩٣
- «وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ...»	٥٨-٥٩	غافر	٥٧
- «وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ...»	١٩-٢٢	فاطر	٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآيـــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
- «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ...»	٢١	الروم	٣٣
- «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ...»	٣٧	فصلت	٩١
- «ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون»	٢٣	الروم	٥٨
- «ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ...»	٢٤	الروم	٢٠
- «ومن نعمّره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون...»	٦٨	يس	١٩ و ٤٧
- «ومنهم أميّون لايعلمون الكتاب إلا أمانيّ...»	٧٨	البقرة	٩٣
- «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ...»	٦١	التوبة	١١١
- «ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك...»	١٦	محمد	٦٤
- «ومنهم من ينظر إليك ...»	٤٣	يونس	٣٨
- «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين..»	٨٢	الإسراء	١٠٤
- «وهو الذي أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات...»	١٤٢	الأنعام	١٢٤
- «وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل...»	٤٢-٤٣	هود	٧٨
- «... ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ...»	١٩١	آل عمران	٣٢ و ٤٤
- «ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ...»	٢١	الرعد	٧٥
- «ويل لكل أفاك أثيم ...»	٧-٩	الجاثية	٨٩
- «يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم ...»	٦٥	آل عمران	١٩ و ٤٧ ١١٦
- «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ...»	١٨	الحشر	٤٥
- «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ...»	٢٠-٢٣	الأنفال	٥٦
- «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...»	٦	الحجرات	١٠٥ و ١١٦
- «يقلّب الله الليل والنهار ...»	٤٤	النور	٤٢
- «يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل ....»	٨	المنافقين	١١١
- «يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا ...»	١٠٤	البقرة	٧٦
- «اليوم أكلمت لكم دينكم ....»	١٩٤	البقرة	٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر

القرآن الكريم

الأشعري، أبوالحسين علي بن اسماعيل. (١٤٠٠-١٩٨٠م). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. ط٣، فيسبادن- دار النشر فرانز شتايز.

الألوسي، محمود. (د.ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (د.ط). بيروت - دار احياء التراث العربي.

الإيجي، عبدالرحمن بن أحمد. (د.ت). المواقف في علم الكلام. (د.ط). بيروت - عالم الكتب، القاهر، مكتبة المتنبي، دمشق - مكتبة سعد الدين.

البيهقي، أبوبكر. (١٤٠١هـ - ١٩٨١م). الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرّشاد-ط١، بيروت - دار الآفاق الجديدة.

التهانوي، محمد أعلى بن علي. (د.ت). موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشّاف اصطلاحات الفنون. (د.ط). بيروت-شركة خياط للكتب والنشر.

ابن تيميّة، أحمد بن عبدالحليم. (د.ت). نقض المنطق. تحقيق : حمد بن عبدالرزاق حمزة وسليمان بن عبدالرحمن الصنيع. (د.ط). بيروت - دار الكتب العلميّة.

الجرجاني، عبدالقاهر. (١٣٩٨-١٩٧٨م). دلائل الاعجاز. (د.ط). بيروت - دار المعرفة.

الجرجاني، على بن محمد الشريف. (١٩٧٨). كتاب التعريفات. (د.ط).بيروت - مكتبة لبنان

ابن جني، أبوالفتح عثمان. (١٤٠٦-١٩٨٦م). الخصائص. ط٣. مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الجوهري، اسماعيل حمّاد. (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩). الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية. ط٢. بيروت - دار العلم للملايين.

الخطابي، أبوسليمان حمد بن محمد ( ). ثلاث رسائل في الإعجاز : بيانٌ إعجاز القرآن. (د.ط). مصر - دار المعارف.

الرازي، محمد بن أبي بكر. (د.ت). مختار الصحاح. (د.ط). دمشق - مكتبة النوري.

الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد. (د.ت). المفردات في غريب القرآن. (د.ط). بيروت - دار المعرفة.

الزجاج، أبواسحاق ابراهيم. (١٤٠٨-١٩٨٨م). معان القرآن واعرابه، ط١. بيروت - عالم الكتب.

الزمخشري، أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر. (د.ت). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (د.ط). بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزملكاني، كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم (١٣٩٤ - ١٩٧٤). البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. تحقيق : خديجة الحديثي وأحمد مطلوب. ط١ بغداد - مطبعة العاني.

أبوالسعود، محمد بن محمد العمادي. (د.ت). تفسير أبي السعود - المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. د.ط. بيروت - دار أحياء التراث العربي.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. (د.ت). صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام. (د.ط). القاهرة - مجمع البحوث الإسلاميّة.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م). الإتقان في علوم القرآن. ط١. بيروت - دار الكتب العلميّة.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (د.ت). إحياء علوم الدين. (د.ط). بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر.

الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد. (١٤٠٣ ه ١٩٨٣). المستصفي في علم الأصول. ط٢. بيروت - دار الكتب العلميّة.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس. (١٣٩١ هـ-١٩٧١م). معجم مقاييس اللغة. ط٢. مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الفيروزابادي، مجدالدّين محمد بن يعقوب. (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م). القاموس المحيط. نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميريّة. مصر - المصريّة العامّة للكتاب.

القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (١٤١٣هـ -١٩٩٣م). الجامع لأحكام القرآن. (د.ط). بيروت - دار الكتب العلميّة.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل. (د.ت). تفسير القرآن العظيم. (د.ط). مصر - المكتبة المصريّة الكبرى.

المحاسبي، الحارث بن أسد (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) العقل وفهم القرآن. تحقيق : حسين القوتلي. د.ط. بيروت - دار الكندي ودار الفكر.

مسلم، مسلم بن الحجاج (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). صحيح مسلم بشرح النووي. ط١، دمشق و بيروت - دار الخير.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨م). لسان العرب. (د.ط). بيروت - دار صادر ودار بيروت.

النحاس، أبوجعفر. (١٤٠٩-١٩٨٨م). معانى القرآن الكريم. تحقيق : محمد على الصابوني. ط١. مكة المكرمة-جامعة أم القرى- معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامي.

النووي، أبوزكريا يحيي بن شرف. (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م) صحيح مسلم بشرح النووي. ط١. دمشق بيروت - دار الخير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المراجع

الآغا، عبدالعطي رمضان. (١٤٠٩ه - ١٩٨٩م). مهارات التفكير المنماة باستخدام طريقة الاستقصاء لدى طلبة الصف الأول الإعدادي في كل من القرية والمدينة في مادة الجغرافية في الأردن. رسالة ماجستير غير منشورة. إربد - جامعة اليرموك.

آغروس، روبرت.م وستانسيو، جورج. ن. (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م). العلم في منظورة الجديد. ترجمة : كمال خلايلي. (د.ط). الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

اقبال، مظفر. (١٩٩٢) القلب وأعضاء الإدراك الحسّي. مجلة الفكر الإسلامي والإبداع العلمي. (د.م). اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي.

الألمعي، زاهر بن عوض. (١٤٠٠هـ). مناهج الجدل في القرآن. ط٢. (د.م.) مطابع الفرزدق التجاريّة.

بدران، محمد بن فتح الله. (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م). الفلسفة الحديثة في الميزان. ط٢. القاهرة - مكتبة القاهرة الحديثة.

بدري، مالك. (١٤١٣هـ -١٩٩٢م). التفكر من المشاهدة إلى الشهود - دراسة نفسية إسلامية. ط٢. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

بدوي، أحمد أحمد. (د.ت). من بلاغة القرآن. (د.ط). القاهرة - دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

بدوي، عبدالرحمن (١٩٨١). موسوعة الفلسفة. (د.ط). بيروت-المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

البوطي، محمد سعيد. (١٤٠٢هـ). كبرى اليقينيات الكونيّة. ط٢. بيروت - دار الفكر المعاصر دمشق -دار الفكر.

جابر، جابر عبدالحميد وكاظم، أحمد خيري. (١٩٧٨م). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ط٢. القاهرة. دار النهضة العربية.

جعفر، نوري. (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م). التفكير - طبيعته وتطوره. ط٢. بغداد. د.ن.

جلال سعد. (د.ن). المرجع في علم النفس. (د.ط) . القاهرة - دار المعارف .

جلبي، خالص. (١٣٩٧ - ١٩٧٧). الطب محراب الإيمان. (د.ط). بيروت - مؤسسة الرّسالة.

حمّاد، أحمد عبدالرحمن. (١٩٨٥م). العلاقة بين اللغة والفكر. (د.ط). الإسكندريّة - دار المعرفة الجامعيّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسن، زينب. (١٩٨٧). التنمية العقلية في القرآن والسنّة. بحث منشور في الفكر التربوي العربي الإسلامي - الأصول والمبادىء - تونس - المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم.
خليل، عماد الدين. (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣). مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم. ط١. بيروت - مؤسسة الرّسالة.
دي بونو، إدوارد. (١٩٨٩). تعليم التفكير. ترجمة : عادل ياسين وإياد ملحم وتوفيق العمري. ط١. الكويت - مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي.
الدسوقي، فاروق أحمد. (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م). الإسلام والعلم التجريبي. ط١. بيروت - المكتب الإسلامي والرياض - مكتبة الخافي.
راپوپرت، أ.س. (١٩٦٩م). مبادىء الفلسفة. ترجمة. أحمد أمين. (د.ط). بيروت - دار الكتاب العربي.
راجح، أحمد عزت. (د.ت). أصول علم النفس. (د.ط). القاهرة - المكتب المصري الحديث.
الرّافعي، مصطفى صادق. (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م). تاريخ آداب العرب. ط٤. بيروت - دار الكتاب العربي.
الرشدان، محمود عايد. (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). حول النظام المعرفي في القرآن الكريم. (د.ط). بحث غير منشور.
زرزور، عدنان محمد. (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م). دراسات ف الفكر الإسلامي. ط١. الكويت - مكتبة الفلاح.
زرزور، عدنان محمد. (د.ت). مقالة في المعرفة. (د.ط). دمشق - مكتبة دار الفتح.
زريق، معروف. (١٩٨٩م). علم النفس الإسلامي. (د.ط). دمشق - دار المعرفة.
أبو زهرة، محمد. (١٩٨٠). تاريخ الجدل. ط٢. القاهرة - دار الفكر العربي.
أبوزهرة، محمد. (١٩٧٠م) المعجزة الكبرى : القرآن. (د.ط). القاهرة - دار الفكر العربي.
زينة، حسني. (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). العقل عند المعتزلة : تصور العقل عند القاضي عبدالجبار. ط٢. بيروت - دار الآفاق الجديدة.
الشرقاوي، محمد عبدالله. (١٤١١ هـ - ١٩٩١م). القرآن والكون. ط٣. بيروت - دار الجيل والقاهرة - مكتبة الزهراء.
شلق، علي. (١٩٨٥م). العقل في الإسلام - الفرق والأحكام. ط١. بيروت - دار المدى للطباعة.
الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (١٩٨٣م). القول السّديد في حقيقة التقليد. (د.ط). بنارس - الجامعة السلفيّة.
الشيباني، عمر. (١٩٨٥م). فلسفة التربية الإسلامية (د.ط). طرابلس الغرب - المنشأة الشعبيّة للنشر والتوزيع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصابوني، محمد علي. (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م). صفوة التفاسير. ط٤. بيروت - دار القرآن الكريم.
الصدر، محمد باقر. (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م). فلسفتنا. ط١٥. بيروت - دار التعارف للمطبوعات.
الصدر، محمد باقر. (١٤٠١هـ - ١٩٨١م). المدرسة القرآنيّة. ط٢. بيروت - دار التعارف.
الصديق، يوسف. (د.ت). المفاهيم والالفاظ في الفلسفة الحديثة . ط.٢ . ليبيا-تونس - الدار العربية للكتاب .
صليبا، جميل. (١٩٨٢م). المعجم الفلسفي. (د.ط). بيروت - دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة.
عبدالباقي، محمد فؤاد. (١٤٠١هـ-١٩٨١م). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . (د.ط).بيروت - دار الفكر.
عبدالعال، حسن إبراهيم. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م). مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (د.ط). الرياض- دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.
عبدالله، عبدالرحمن صالح. (١٤١٢هـ-١٩٩٢م). الموضوعيّة في العلوم التربوية. بحث منشور في كتاب المنهجيّة الإسلامية والعلوم السلوكيّة التربويّة. جـ٣. ط١. من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
عبدالله، محمد حسين. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م). مفاهيم إسلامية. ط١. بيروت - دار البيارق.
عثمان، سيّد أحمد وأبوحطب، فؤاد عبداللطيف. (١٩٧٨م). التفكير - دراسات نفسيّة. ط٢. القاهرة - مكتبة الأنجلو المصريّة.
العقّاد، عباس محمود. (د.ت). التفكير فريضة إسلاميّة. (د.ط). القاهرة - نهضة مصر للطباعة.
عناية، غازي حسين. (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). مناهج البحث العلمي في الإسلام. ط١. بيروت - دار الجيل.
أبو العينين، علي خليل. (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). فلسفة التربية الإسلاميّة في القرآن الكريم. ط٢. بيروت - دار الفكر العربي.
عودة، أحمد وملكاوي، فتحي. (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م). أساسيّات البحث العلمي. ط٢. إربد - مكتبة الكتّاني.
فان دالين، ديوبولد. ب. (١٩٧٩م). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. (د.ط). القاهرة مكتبة الأنجلو المصريّة.
قطب، سيد (د.ت). التصوير الفنّي في القرآن. (د.ط). بيروت والقاهرة - دار الشروق.
قطب، سيد. (١٣٩٨هـ-١٩٨٧م). في ظلال القرآن. ط٧. بيروت والقاهرة - دار الشروق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطب، محمد. (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م). منهج التربية الإسلاميّة. ط٦. بيروت - دار الشروق.
الكيلاني، ماجد عرسان. (١٤١١هـ-(١٩٩١). مقوّمات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح. ط١. قطر - رئاسة المحاكم الشرعيّة والشؤون الدينيّة.
الكردي، راجح عبدالحميد. (١٩٧٩). نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة. رسالة دكتوراه غير منشورة. مصر - كلية الشريعة - جامعة الأزهر.
ماندر، أ.اي (١٤٠٤هـ-١٩٨٤). التفكير الواضح. ترجمة : عبدالباقي كاظم. ط١. بغداد - مكتبة آفاق عربيّة.
المبارك، محمد. (١٣٩٨هـ-١٩٧٨). الإسلام والفكر العلمي. ط١. بيروت - دار الفكر.
المبارك، محمد. (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م). نظام الإسلام - العقيدة والعبادة. ط٤. بيروت - دار الفكر.
ميمني، هدى. (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م). التربية العقليّة في القرآن. رسالة ماجستير غير منشورة. مكة المكرمة - جامعة أم القرى.
نجاتي، عثمان. (١٤١٤هـ-١٩٩٣م). القرآن وعلم النفس. ط٥. القاهرة بيروت - دار الشروق.
نجاتي، عثمان. (١٩٧٧م). علم النفس في حياتنا اليوميّة. ط٧. الكويت - دار القلم.
النحلاوي، عبدالرحمن. (١٩٨٩م). التربية بالآيات. (د.ط). بيروت- دار الفكر.
النشار، علي سامي. (١٩٧٨). مناهج البحث عند مفكري الإسلام. ط٤. القاهرة دار المعارف.
النشار ، علي سامي . (١٩٧٧م) . نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . ط.٧ . القاهرة- دار المعارف
الهاشمي، عبدالحميد محمد. (١٤٠٧-١٩٨٧). أصول علم النفس العام. ط٢. جدّة - دار الشروق.
هلفش، جوردن وسميث، فيليب. (١٩٦٣م). التفكير التأمّلي، ترجمة : محمد العزاوي وإبراهيم خليل شهاب. مراجعة : محمد سليمان شعلان. (د.ط). القاهرة - دار النهضة العربيّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويبات

الخطأ	الصواب	السطر	رقم الصفحة
وأهمتها	وأهميتها	٧	د
المرؤ	المرءُ	١٦	٣٠
كا	كما	٥	٣٦
فنسبته	فنسبة	١	٤٨
ستانسيره	ستانسيو	٢	٦١
بيهم	بينهم	٣	٦٨
ودرت	وردت	١٨	٧٥
تحريض القرآن للمسلمين	تحريضٌ للمسلمين	٢٢	٧٦
الأصولين	الأصوليين	١٦	٨٢
كسفة	كسفت	١٦	٩٠
فتحول	فتتحول	٢٥	٩١
معتقداتم	معتقداتهم	١٢	٩٣
القآن	القرآن	١٤	١١٣
محروقاً	محروماً	٢٢	١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Sides Of Thought And Thinking In The Holy Quran

Abstract

Mohmoud Mohammad Awad Al-Hishan
Master of Islamic Education - Yarmouk University

supervisors
Dr. Mohammad Malkawi
Dr. Shadia Al-Tall

This study aims to identify sides of though and thinking in the Holy Quran, concepts of mind and thinking in the Quran, and relation of thinking to other mental processes.

However, the main question the study attempts to answer is what are the sides of thought and thinking introduced by the Quran introduced by the Quran?

This study comes out in three chapters together with an introductory one. The research's background, objectives, hypotheses, terminology and methodology are discussed in the introductory chapter.

The first chapter is about concepts of mind and thinking. The concept of mind in language and terminology as well as in the Quran is investigated. Concept of thinking and its relation to other mental processes is also tackled.

The second chapter is devoted to instruments of thinking.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Demonstrating divisions of senses, the chapter elaborates the Quran's view on senses and discusses language in its relation to thinking. The chapter gives also a brief account of the Quran's linguistic characteristics and features.

٤٨٠٣٦٨

Developing of thinking is debated in the third chapter.

The researcher points out impact of the Quran in liberating thinking from obstacles and restrictions, and concluded some of the mythological rules introduced by the Quran to develop thinking. Moreover, he investigates methods of researchand their foundetions in the Quran.

The study adopts the analytic- inductive approach, and comes up with some conclusions; among the most important ones are :

1- The mind is presented within the context of verbs, and accordingly mind is not something material; it is to be recognized through its function of reasoning, reception and reflection.

2- Mentel processes mentioned by the Quran are purposeful, integrated and well connected ones.

3- The Quran takes an interest in senses, and calls for directing them towards reception and understanding. In addition to that, the Quran warns against deactivation of senses.

4- The Quran points out the importance of language and its role in communication and transfer of knowledge.

5- The Quran provides some instructions to develop thinking :

A- Liberating thinking from restrictions.

B- Following methodological rules to develop thinking, among them are :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- Motivating thinking.

2- Intentionally directing attention.

3- Developing the ability to imagination.

4- Developing linguistic skills.

5- Improving physiological - in and psychological environment of the individual.

6- Understanding all concepts and information related to the topic of thinking.

C- Introducing methodological principles of scientific research.

The study presents many recommendations, among them are :

1- Re-examining methods of teaching and learning the Holy Quran.

2- Adopting instructions reached out by the study to develop thinking.

3- Carrying out studies about the influence of "Sunna" (of the Prophet) on developing and directing thinking.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit